20 me. Année № 49

Le Caire 28-1- 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فدائيون وأنانيون . . .

ما أشبه بنى آدم بنبات الأرض ! يتفق فى التربة والغذاء والجو ، ويختلف فى اللون والطعم والمزية . فى الحقل الواحد تجد الطيب والخبيث ، والحلو والمر ، والنافع والضار ، والصلب والهش ، والمستقيم والمعوج ، والمثمر والعقيم . وهذا الاتفاق وذلك الاختلاف تجدهما فى بنى الإنسان على أوضح صورة .

ها نحن أولاء ، طينتنا من ثرى الوادى ، وغذاؤنا من خير النيل ، وهواؤنا من جو مصر ؛ ولكن فينا من يؤلم ولا يلذ كالعوسج ، ومن يروق ولا يثمر كالصفصاف ، ومن يضر ولا ينفع كالهالوك ، ومن يرتفع ولا يستحق كالعليق . أما المصطفون الأخيار فهم كالفواكه والرياحين قلة قليلة . . منا العيون التى تتجسس للعدو ، والأيدى التى تعمل مع العدو ، والألسن التى تدعو إلى العدو . ومنا الأوغاد الذين يقضون أيامهم اللاهية عكفاً على الفحش ينفقون أموالهم التى استقطروها من عرق الفلاح ودمه ، فى الخمر والقمر والنساء ، وأبناؤنا الشباب يقاتلون العدو وجها لوجه وهم جياع ! ومنا الأنذال الذين كسبوا المال وخسروا الشرف ، وشروا الجاه وباعوا الضمير ، فظلوا بيننا تماثيل للؤم والبلادة ، يسمعون عن فظائع الإنجليز فى القنال ، وعن نجائع الفدائيين فى القتال ، وكأن القنال ليس من أرض الوطن ، وكأن الفدائيين ليسوا من شباب الأمة ! أما البررة الأطهار فهم صفوة الخير المغلوب بين هذا الشر الغالب ! هم أولئك الشباب الجامعيون الذين نذروا دماءهم الزكية لله ولمصر . يَقتلون مستبسلين ، ويُقتلون مستشهدين ؛ لا يتمنون عَرض الحياة لأنهم يستقبلون وجه الموت ، ولا يطمعون فى جزاء الدنيا لأنهم يقنعون بثواب الآخرة

هم أولئك الفدائيون المترفون الذين ربئوا بوطنهم أن يُحتل ، وبشعبهم أن يُذل ، فزهدوا فى سعة العيش ، ورغبوا عن سلام الأمن ، وعاشوا مع الفلاحين فى قرى القنال ، يطعمون أغلظ الطعام ، ويشربون أكدر الشراب ، ويفرشون أخشن الفراش ، ويستعيضون عن العطور والدهن بالشحم يطلون به أجسادهم المرهفة ليقيها برد الماء وقر الشتاء ، ثم يكمنون للعدو الباغى عراة فى قنوات الحقول وأخاديد الأرض ؛ حتى إذا شاء القدر أن يسخر من الامبراطورية العجوز ، ساق قطيعا من أغنامها الحمر إلى المجزرة الفدائية جاثمة ، فيلتقى الإيمان والكفر ، والشجاعة والجبن ، والقضاء والأثرة ؛ وتغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله ، فيفزع (أرسكين) ، ويجزع (تشرشل) ، وتسيل شوارع المدن ومسالك القرى بالدبابات والمصفحات والجنود ؛ ثم تكون عاقبة هذا الجيش العرمرم والعتاد الضخم هزيمة مخزية تشبه الصفعة على القفا العريض ، أو البصقة على الوجه الصفيق !

هؤلاء المجاهدون الأبطال الذين أقضوا مضجع انجلترا وأيدوا حق مصر ، لا يرجون من قومهم غير السلاح ! فهل يستجيب أغنياؤنا الطاغون لهذا الرجاء ؟ إنك لا تحيى الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء !

أحمد حسن الزيات

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغانى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ١ —

كنت فى مجلس من أصحابى الشباب وكنت أتحدث إليهم عن السيد جمال الدين الأفغانى فأعجبوا بروحه القوية المتدفقة نحو الحياة والحرية . وكيف لايعجب شباب العرب بروح جمال الدين وهم يتحفزون للوثبة الكبرى وراء الحياة والحرية ؟ وكيف لا يتخذون من روحه القوية المتدفقة الوثابة حافزا لهم فى جهادهم العظيم للحرية والاستقلال والوحدة . فطلب منى بعض أولئك الشباب أن أكتب كلمة عن هـذا الرجل العظيم فى مجلة الرسالة الغراء ليتعرف عليه أكبر عدد ممكن من شباب العرب. وهأنذا أحقق رغبتهم راجيا أن أوفق إلى تصوير روح جمال الدين تصويرا يجعل منها نورا يستضئ به الشباب العربى فى جهادهم القومى ، ونارا تأكل هـذا الاستعمار الغاشم فتقوض دعائمه وتذهب بكيانه وعيانه

يقسم علماء النفس الشعور الإنسانى إلى ثلاثة أقسام ، المعرفة والوجدان والنزوع . وهـذه الأقسام الثلاثة للشعور الإنسانى مترابطة متداخلة كتيار الماء الذى يدور على نفسه . ترى الوردة الجميلة مثلا متفتحة الوجنات على غصنها الرطيب (هـذه هى المعرفة) فتروقك تلك الوردة الجميلة ويلذك منظرها ورائحتها (وهذا هو الوجدان) فتقبل عليها فتقطفها لتستمتع بهـا لمسا وشما (وهذا هو النزوع) . تلمس يدك النار وهذه معرفة؛ فتتألم من حرها وهـذا وجدان فتزيح يدك عنها أو تزيحها عن يدك وهذا نزوع . تعرف الشئ فتلتذ به أو تتألم منه فتنزع نحوه أو عنه جلبا للذة أو دفعا للألم ؛ وهذا هو الشعور الإنسانى نوعا ، وأما كما فليس الشعور الإنسانى بمتساو فى أقسامه . وهـذا الاختلاف فى الـكم هو الفارق بين أفراد البشر خيرا وشرا ، كمالا ونقصا ، قوة وضعفا . والبشر بهذا الاختلاف فى كمية أجزاء الشعور ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، قسم قويت فيهم المعرفة وضعف الوجدان والنزوع كالعلماء . وقسم قوى فيهم الوجدان وقلت المعرفة وضعف النزوع كالفنانين . وقسم قوى فيهم النزوع وقلت المعرفة وضعف الوجدان كالقادة والطغاة .

والعجيب فى أمر السيد جمال الدين الأفغانى أنه مكتمل جوانب الشعور كيفية وكمية ؛ فبينما نراه من ناحية المعرفة نابغة عصره وباقعة زمانه نراه قوى الوجدان مرهف العواطف يحس بالألم مع الإنسانية كافة أفرادا وجماعات ، ويشمل السرور جوارحه إذا ما رأى الخير شاملا لبنى الإنسان . وبينما نراه كذلك من كثرة المعرفة وقوة الوجدان نراه فى النزوع إلى العمل والتوجه إلى الهدف كالصاعقة المنقضة والشهاب الثاقب والسهم المنطلق والأسد الـكرار ، ينصب على هدفه انصبابا قويا عنيفا حازما لا يعوقه كل ما فى الحياة من صعوبات ومتاعب ، يقتحم ولايبالى ما يعترضه من صعوبات وأخطار ، أجبال حديد أم جبال نار

أما تفاعل جمـال الدين مع بيئته وأثر ذلك التفاعل مع تلك البيئة فهو ما أتحدث عنه الآن

اختلف مؤرخو حيـاة جمال الدين فى تعيين موطنه الأصلى هل هو إيران أو أفغانستان؟ فبعضهم قال أنه إيرانى الأصل أفغانى النشأة ، وبعضهم جزم بأنه أفغانى الأصل والنشأة ، ولـكنهم اتفقوا اتفاقا تاما على أنه ولد فى مدينة أسد آباد أو أسعد آباد من أعمال كنر فى الأفغان وذلك سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية أى فى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وأن أباه يدعى السيد صفتر أو صفدر ومعناه بالفارسية الشجاع المقتحم ، وأن عائلته ذات حول وطول ونفوذ وسلطان فى مقاطعة كنر خصوصا وبلاد الأفغان عموما لانتسابهـا إلى السيد على الترمذى المحدث المشهور الذى يتصل نسبه بالحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ولد السيد جمـال الدين الحسينى الأفغانى وأهله وعشيرته فى ذروة العز وسامت المجد فقضى ثمانى سنين يتقلب بين أعطاف العز والمجد ويرتع فى أحضان العظمة والسلطان . حتى امتدت إليها يد الأمير دست محـمـد خان الذى آل إليه الأمر فى الأفغان

بعد انقسامات وحروب طويلة وعريضة، فسلب من تلك العائلة الكريمة ملكها وسلطانها وأجلاها عن أرضها وموضع عزها ونقلها إلى مدينة كابول عاصمة الملك لتظل تحت سمعه وبصره فيأمن انتقاضها ويضمن خروجها عليه ومزاحمتها له . قضى جمال الدين الطفل في مدينة كابل عشر سنين تلقى فيهـا العلوم العربية : التاريخ والشريعة والتفسير والحديث والمنطق والتصوف والرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم النظرية العملية . ثم عرض له أن يذهب إلى الهنـد لاستكمال علومه على الطريقة المصرية فذهب إليها وقضى فيها ردحا من الزمن عب فيـه من العلم ما وسعه عقله الكبير وهمته العالية . وكان حينذاك مشرفا على العشرين من عمره . فهل يرجع إلى كابول وفي نفسه منها حزازات وجروح :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه   غذاء تضوى به الأجسام

أم يذهب لأداء فريضة الحج، يؤدي فرضا لله عليه ويسري عن نفسه الكبيرة ما تحس من الألم لما أصاب عائلته من تغريب، ووطنه من فوضى واضطراب ؟ ذهب إلى الحج ولكن بعد أن رسم لنفسه خطة سفر تمكنه من زيارة أنحاء الجزيرة العربية لدراسة بلاد العرب دراسة علم ودراسة سياسة . درس جزيرة العرب وأدى فريضة الحج فهفت به نفسه قائلة : لا بد مما ليس منه بد . لا بد من العودة إلى الأفغان . عاد إلى الأفغان وشاء الله له أن يصبح في سلك رجال حكومة دوست محمد خان، وما لبث أن نال إعجاب الأمير واحترامه وأصبح أشد لزوما له من الهواء والماء، فصحبه في حروبه وغزواته كما صحب شاعر القوة أبو الطيب المتنبي سيف الدولة في حروبه وغزواته مع الفرق بين صحبة الرجلين لصاحبيهما، فأبو الطيب صحب سيف الدولة لأوقات الفراغ وساعات التسلية . وأما جمال الدين فصحب دوست محمـد لأوقات الشدة وساعات الخطر . سار دوست محمد إلى مدينة هراة ليفتحها وسار معه جمال الدين لحصر المدينة وضيق عليها ابتغاء فتحها، وكان جمال الدين العقل المدبر لدوست محمد واليد الحازمة له في عمله الحربي؛ ولـكن شاء الله أن يموت الأمير قبـل فتح المدينة ففتحت على يد جمال الدين . وهنـاك ولى الامارة بشير على خان أصغر أولاد دوست محمـد فأشار عليه وزير من وزراء السوء أن يقبض على إخوته ويعتقلهم خوفا من مزاحمتهم له، وكان من أولئك الإخوان في جيش هراة الفـاتح ثلاثة وهم محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين . فانتصر جمال الدين لمحمد أعظم ودافع عنه عند الأمير فلم يفلح، فعلم الأخوة بما بيته لهم أخوهم فذهب كل واحد منهم إلى ولايته التي كان يليها من قبل واعتصم بهـا فاندلعت نار الفتنة في البـلاد واشتدت وطأة الحروب بين الأخوة المتقاتلين حتى آل الأمر إلى محمد أعظم فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الأول وعظمت ثقة الأمير به حتى أصبح لا يورد ولا يصدر إلا عن رأيه . ولـكن هيهات أن يستتب أمن في بلاد يجاورها الإنـكليز ، فقد أخذ الإنـكليز يمدون أصابعهم إلى هذه البلاد فاتفقوا مع (بشير على) ضد أخيه محمـد أعظم لقاء منافع لهم فنثروا الذهب في البـلاد يمنة ويسرة شأنهم في كل حال تشبه هذه الحال، فبيعت أمانات، ونقضت عهود، وتجددت خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب بشير على بذهب الإنـكليز ودسائسهم على محمد أعظم، ففر محمد أعظم إلى بلاد إيران ضحية من ضحايا الاستعمار الإنـكليزي الغاشم

للكلام بقية   **محمدي الحسيني**

عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

في سنة ١٩٤٣ أصدر الدكتور العراق فائق شاكر كتابا عنوانه (عالم الذباب) تعرض فيه لحديث الذباب بالفرح والتأييد، وانبرى له المرحوم الأستاذ معروف الرصافى شاعر العراق بالجرح والتفنيد. وقد تجدد اليوم هذا الخلاف بين مجلة لواء الاسلام ومجلة الدكتور فرأينا من المفيد أن ننشر مقال الأستاذ الرصافى وقد أرسله إلينا فى حينه فلم ينشر لبعض الأسباب

الحديث النبوي

نذكر لك أولا نص عبارة الحديث الذى ذكره الدكتور فى رسالته عن أبى هريرة « إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فان فى أحد جناحيه داء ، وفى الآخر شفاء وانه يتقى بجناحه الذى فيه الداء »

وفى روايتى النسائى وابن ماجه . « إن أحد جناحى الذباب سم، والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء »

هذا ما ذكره الدكتور فى رسالته . ونذكر نحن الروايات الآتية نقلا عن شرح البخارى للعينى »

« إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ، فان فى إحدى جناحيه داء ، والأخرى شفاء » الجزء السابع الصفحة ٣٠٢

ونقلا عن شرح البخارى أيضا للعينى :

« إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فان فى إحدى جناحيه شفاء وفى الآخر داء » . الجزء العاشر الصفحة ٢١٧

ونقلا عن الجامع الصغير للسيوطى هكذا .

إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى إحدى جناحيه داء وفى الأخرى شفاء » . رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة

وقبل كل شىء نطالب إنتباه القارىء إلى اختلاف هذه الروايات فى عبارة الحديث اختلافا لفظيا ناشئا على ما نرى من أنهم كانوا فى الأكثر يروون الأحاديث بالمعنى فيتصرفون فى ألفاظها كل بحسب رأيه فى معناها كما تراه فى رواية هذا الحديث، فبعضهم قال إذا وقع فى الشراب ، وبعضهم فى الطعام وبعضهم فى الإناء ، ومنهم من عبر بالغمس ، وبعضهم بالمقل وهو بمعنى الغمس ، وبعضهم عبر بالنزع والآخر بالطرح والمراد من كليهما واحد ، ومنهم من اقتصر على الغمس ولم يذكر النزع ولا الطرح ، ومنهم من قال فليغمسه كله ومنهم من أسقط كلمة كله ، ومنهم من قال فى أحد جناحيه داء ومنهم من قال سم ، وبعضهم قال يتقى والآخر قال يقدم

ولكن الروايات كلها اتفقت فى أن الداء أو السم هو فى أحد الجناحين وأن الشفاء فى الجناح الآخر ، وكذلك اتفقت أيضا فى بيان سبب الأمر بالغمس ، وهو أن الذباب عند وقوعه فى الشراب يتقى بالجناح الذى فيه الداء ، أو يقدم الجنـــاح الذى فيه السم ويؤخر الآخر كما جاء فى الرواية الأخرى

فالأمر بالغمس إنما جاء لكى يدخل فى الشراب الجناح الآخر الذى فيه الشفاء . إن هذا الإختلاف اللفظى الذى جاء فى هذه الروايات لا يقدح فى صحة الحديث إن كان صحيحا ما دام المعنى المراد فيها كلها واحدا . ولكن على فرض صحة الحديث يستبعد أن يكون رسول الله تكلم بهذه الألفاظ المختلفة كلها ، وإنما عبر بواحدة منها ، والرواة التزموا جانب المعنى فعبروا عنها بما يوافقها أو يقاربها ، سواء كان ذلك منهم عن قصد لمراعاة المعنى ، أم عن نسيانهم وذهولهم عن الألفاظ ، فان المعنى قد يرسخ فى ذهن الراوى وتشذ عنه الألفاظ . فإذا أراد بيانه عبر عنه بالفاظ من عنده . وكل من قرأ فى كتب التاريخ شيئا عن حياة الواقدى أحد مشاهير الرواة فى القرن الثانى عرف كيف تكون الرواية بالمعنى ، فان هذا الرجل كان من أعجز الناس عن حفظ الألفاظ حتى إن المأمون الخليفة العباسى أراد مرة أن يحفظه سورة الجمعة من القرآن فما استطاع . ثم وكل به من يحفظه إياها فما استطاع ، وكان الموكل به إذا حفظه آية ثم انتقل به إلى ثانية نسى الأولى ؛ وإذا عاد إلى تحفيظه الأولى نسى الثـانية . وكان يقرأ ما نسيه بالمعنى فيبدل الألفاظ . وأمثاله فى الرواة كثيرون

لا يتسع المقام هنا لنقد الرواية بالمعنى ، وبيان ما ينتج عنها

من مضار ، فنترك ذلك لفرصة أخرى . غير أنا نقول إن لجوهر المعنى ارتباطا كليا بجوهر اللفظ ؛ فكل تغيير فى اللفظ لا يخلو من تغيير فى المعنى ، قل أو كثر ، حتى أننا لو وزنا الألفاظ المترادفة بقسطاس مستقيم من الفهم والإدراك لما قلنا بأنها مترادفة ؛ فتبديل الألفاظ بما يرادفها أو يقاربها فى المعنى فيه خطر عظيم على المعنى خصوصا فى النصوص التى لا مستند لفهمها فهما صحيحا سوى الألفاظ . ولا مرية فى أن تبديل الكلمات بما يرادفها أو يقاربها فى النصوص قد يغير وجه الحكم المستنبط منها ، كما أنه قد يبعد بها عن المعنى المراد بعدا شاسعا ، لأن المترجم مهما برع وأجاد فى نقل المعنى بوضع ألفاظ من اللغة التى يترجم إليها ، تؤدى معنى الألفاظ من اللغة التى يترجم منها فإنه لن يستطيع أن يوفى المعنى حقه بتمامه ، بل لا بد أن يخون المعنى بعض الشيء فى ناحية من نواحيه . فالمترجم لا يتخلص من الخيانة وإن كانت خيانته اضطرارية غير اختيارية

ولهذا امتنعت الإصابة والإجادة فى ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى؛ لأن محاسن الشعر لا تقوم بالمعنى وحده بل بانتقاء ألفاظه وحسن سبكه وانسجام تراكيبه أيضا ، ولا ريب أن محاسن الكلام فى كل لغة تختلف كل الاختلاف ؛ فالذى يترجم الشعر لا بد له أن يتصرف فيه مراعاة لمحاسن الكلام فى اللغة التى يترجم إليها وإلا جاءت الترجمة تافهة وخرج الشعر عن كونه شعرا ، وبهذا التصرف الذى لا بد منه يقع البعد بين المترجم منه وبين المترجم إليه

ولهذا أيضا امتنعت ترجمة القرآن من العربية إلى غيرها من اللغات ، فإن ترجمته مع المحافظة على ما فيه من روعة وطلاوة تكاد تكون مستحيلة . وقد ترجمه الترك فى أيامهم الأخيرة عدة ترجمات فلم يفلحوا ، بل جاءت ترجماتهم شيئا مضحكا . وقد ترجمه إلى لغاتهم أهل أوربا أيضا ؛ وقد ذكر لى أحد معارفى ممن يحسنون اللغات الغربية أنه قرأ فى إحدى ترجماتهم قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » مترجما بما معناه إن كل إنسان يوم القيامة يكون فى رقبته عصفور معلق ، وهذا شىء مضحك أيضا . إن الكلام من الرواية بالمعنى قد أخرجنا عن الصدد فلنعد إلى ما نحن فيه فنقول :

لا كلام لنا على اختلاف الرواة فى عبارة الحديث ، لأن المعنى المراد فيها كلها واحد ، وإنما نريد أن نتكلم عن المعنى المقصود من الحديث فنثبته للقارىء واضحا صريحا ، ثم نرى هل ينطبق على ما يقوله الدكتور فائق شاكرويدميه

إن المفهوم بصراحة من الروايات كلها ، هو أن الداء أو السم ، لا يكون إلا فى أحد جناحى الذباب لا فى كليهما ؛ وإن الذباب عند وقوعه فى الشراب أو فى الطعام يتقى صدمة الوقوع بالجناح الذى فيه الداء ، فينغمس ذلك الجناح فى الشراب ، ويبقى الجناح الآخر فوق غير منغمس ، وكأن عبارة إحدى الروايات القائلة بأنه « يقدم السم ويؤخر الشفاء » قد جاءت تفسيرا لعبارة الرواية الأخرى القائلة بأنه « يتقى بجناحه الذى فيه الداء »

وإذا علمنا هذا فقد علمنا لماذا جاء الحديث يأمر بالغمس ، ذلك لأن الجناح الذى فيه الداء قد انغمس فى الشراب فتلوث الشراب بدائه فإذا انغمس الجناح الآخر بطل حكم الداء الذى حصل من الجناح الأول وسلم الشراب

هذا هو المعنى الواضح الصريح الذى تؤديه عبارة الحديث فى جميع الروايات على اختلافها فى التعبير . وبعد هذا فلننظر فيما يقوله الدكتور حفظه الله ، ليتبين لنا أين وجه الصواب

أين محل البكتريوفاج من الذباب ؟

نستخلص الجواب على هذا السؤال من كلام الدكتور نفسه فنقول : يدعى الدكتور بأن المراد من الشفاء المذكور فى الحديث هو ما اكتشفه العلم فى هذا العصر من « البكتريوفاج » التى فسرها بمفترسات الجراثيم ، وإذا كان المراد بالشفاء هو هذا فلننظر أين يوجد البكتريوفاج من الذباب؛ أهو فى أحد الجناحين أم فى كليهما ، أم فى جسم الذبابة كلها، أم فى قناتها الهضمية ، أم فى ذراعيها ورجليها ؟

قال حفظه الله فى الفصل التاسع والصفحة (٥٢) « إن الذباب المعروف بذباب البيوت ، يقع على البراز ، والمواد القذرة ، وكل هذه مملوءة بالجراثيم المولدة للأمراض، فاختيار الذباب لها ، يدل على أنه يأكل الجراثيم والبكتريوفاج معا؛ فبأكله الجراثيم اجتمع

فيه الداء ، وبحصول البكتريوفاج اجتمع فيه الشفاء »

إن المفهوم بصراحة من عبارة الدكتور هذه أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة ، ولم يخص به عضوا دون آخر ، ولما كان الجسم يشمل الجناحين ، جاز أن يقال بأنه موجود فى الجناحين أيضا . (ولا تنس أن عبارة الحديث تخص به أحد الجناحين دون الآخر)

ويفهم أيضا ضمنا من عبارة الدكتور أن البكتريوفاج يوجد فى القناة الهضمية من الذبابة لأنه قال بأنها تأكل مع الجراثيم المضرة أيضا . وتتضمن عبارته أيضا أن البكتريوفاج يوجد فى رجلى الذبابة وفى يديها لأنه قال تقع على البراز

ولا شك أن يديها ورجليها ترتطمان فى البراز فتعلق بهما الجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا . فمن هذه العبارة نفهم صراحة وضمنا أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة كله حتى الجناحين

ولنا على هذا اعتراض ، وهو أن الذبابة بوقوعها على البراز قد تلوثت به يداها ورجلاها ، أى تلوثت بالجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا ، وأنها بأكلها البراز قد حصل البكتريوفاج فى قناتها الهضمية أيضا . ونتوسع أكثر من هذا فنقول إن البكتريوفاج يوجد فى صدرها أيضا وفى بطنها ، لأنهما يليان البراز الذى وقعت عليه ، ولكن كيف تلوث جناحاها بالبراز فوجد فيهما البكتريوفاج وهما فى القسم الأعلى من جسمها ، لا مساس لهما بالبراز (سنذكر كلاما للدكتور يكون جوابا لهذا ثم نجيب عليه) وقال أيضا فى الصفحة (٥٣) « وبنقله (أى الذباب) الجراثيم والبكتريوفاج المهيأ فى براز الناقهين مباشرة ، اجتمع فى الذباب الداء والشفاء » . قال « فهذا هو معنى ماورد فى عجز الحديث الشريف (قال فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء)

إن الدكتور يرمى الكلام على عواهنه رمياً ، وإلا فكيف يكون هذا هو معنى ماورد فى الحديث . لاشك أن الذباب بوقوعه على براز الناقهين وأخذه منه الجراثيم ، يكون قد اجتمع فيه كلا النوعين من الجراثيم المضرة والنافعة بلا ريب . فاجتماع كلا النوعين فى الذباب أى فى جسمه أمر لا مرية فيه ، ولكن كيف يكون ذلك هو المعنى المقصود مما ورد فى الحديث الذى يخص كل واحد من النوعين بواحد من الجناحين ، ولولا وجود المضر فى جناح والنافع فى جناح آخر لبطلت حكمة الأمر بغمس الذباب فى الشراب ، إذ لا شك أن الأمر بالغمس مسبب عن وجود الشفاء فى جناح واحد ، وعن كون الذباب يتقى عند وقوعه بالجناح الذى فيه الداء ، فالجناح الذى يتقى به ينغمس فى الشراب ويبقى الجناح الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس ، فلذا أمر بغمس الجناح الثانى أو بغمس الذبابة كلها كما جاء فى بعض الروايات ، لكى ينغمس الجناح الآخر الذى فيه الشفاء ، فيبطل حكم الداء

ولو كانت الجراثيم النافعة موجودة فى كلا الجناحين أو فى جسم الذبابة كله لما أمر بالغمس ، بل كان الأمر بالغمس عبثا لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد ارتطمت فيه أرجلها وأيديها وبطنها وصدرها وأحد جناحيها ، وفى هذه الأعضاء يوجد النافع والضار كما يقول الدكتور . وقد حصل البكتريوفاج فى الشراب وبطل حكم الجراثيم المضرة . أفليس من العبث بعد هذا أن نغمس الذبابة فى الشراب ؟ وخلاصة القول أن الحديث إن صح فإنما ورد لبيان أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما غمس الذباب عند وقوعه فى الشراب ؛ والثانى بيان سبب الغمس وحكمته . وعليه فالجدال بيننا وبين الدكتور ينحصر فى نقطة واحدة هى الغمس لا غير . ولذا نقول إن كان الشفاء لا يوجد إلا فى أحد الجناحين كما يقول الحديث ، وكان الذباب يتقى بالجناح الذى فيه الداء كما يقول الحديث أيضا كان الغمس واجبا ، وكان الأمر به معقولا ومقبولا ، لكى يتم دخول الشفاء فى الشراب مع الداء . وإن كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا فى جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور كان الغمس عبثا وكان الأمر به غير معقول ولا مقبول ، لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد انغمس فيه أكثر جسمها ، ولم يبق منها إلا جناح واحد ، وقد دخل منها فى الشراب كلا النوعين النافع والمضر من الجراثيم فأى حاجة تبقى إلى الغمس ؟

ثم أن الدكتور بعد ما فسر عجز الحديث على هذا الوجه وأخذ يتكلم عن صدره فقال : « وأما ماورد فى صدر الحديث الشريف : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم

ا ينزعه) فالغمس هو لأجل أن يدخل البكتريوفاج للشراب »

أما نحن فنقول : أما أن الغمس هو لأجل أن يدخل الشفاء والبكتريوفاج في الشراب فصحيح لامرية ولكن ذلك لا يتجه إلا بأن يكون البكتريوفاج في أحد الجناحين دون الآخر كما بيناه آنفا ، وإلا لم تبق حاجة إلى الغمس لأن البكتريوفاج موجود في ذراعي الذبابة وفي رجليها وقد انغمستا في الشراب ، كما أنه موجود في الجناح الآخر (على ما يقول الدكتور) وقد انغمس في الشراب ، ودخل البكتريوفاج فيه ، فلماذا يأمر بالغمس والبكتريوفاج داخل قبل الغمس ؟

وقال أيضا في الصفحة (٥٣) « فالفن قد أثبت وجود البكتريوفاج في جسم الذبابة ، سواء بحصوله من بلعها الجراثيم المرضية في أنبوبتها الهضمية أو بنقلها من براز الناقهين »

وقال أيضا في الصفحة نفسها : « وحيث ورد في نص الحديث فليغمسه أي فليغمس الذبابة كلها فقد دخل في الغمس جسمها مع جناحيها . ولم يرد في الحديث غمس الجناحين فقط ، مما دل على أن الداء والشفاء في الجناحين امر اعتيادى لا يفيد التخصيص ، والأمر بغمسها يؤيد ذلك . وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم بإدخال البكتريوفاج للشراب من جسم الذبابة »

هذه هي عبارته بعينها ومينها وقد جاءت بالأعاجيب فلننظر فيها بشيء من التحليل والتمحيص ليظهر ما يرمي إليه الدكتور فيها

يقول « قد دخل في الغمس جسمها مع جناحيها » فنقول : إذا وقعت الذبابة في الشراب ، فقد انغمس فيه جسمها لا محالة ، أما الجناحان فيجوز أن يكونا منغمسين أيضا تبعا للجسم ، ويجوز أن يكونا غير منغمسين لرقتهما ، ولكونهما من الفروع العليا في جسم الذبابة ، وبناء على هذا كان ينبغي للدكتور أن يقول فقد دخل في الغمس جناحا الذبابة مع جسمها ، ولكنه عكس العبارة لكي يجر الحديث إلى ما يريده هو . ولما كان من الجائز انغماس الجسم دون الجناحين ، أو دون أحدهما ورد الأمر في الحديث بغمس الذبابة كلها لكي ينغمس جناحاها أيضا مع جسمها ، لا جسمها مع جناحيها كما يقول الدكتور ، وهنا نعود فنقول إن حكمة الأمر بالغمس تبطل إذا كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا في جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور ، لا في أحد جناحيها كما يقول الحديث

ويقول في عبارته هذه أيضا : « ولم يرد في الحديث غمس الجناحين فقط » ، أي أراد غمس الجسم أيضا مع الجناحين ، هذا هو تفسير مراده من هذه العبارة ، فنقول ياسبحان الله ! إن عبارة الحديث بمنطوقها ومفهومها تدل على أن جسم الذبابة عند وقوعها في الشراب يكون منغمسا فيه وكذلك احد جناحيها فلذلك أمر بغمسها كلها لكي ينغمس الجناح الآخر الذي فيه الشفاء ، وعليه كيف يريد غمس الجناحين فقط حتى يحتاج الدكتور إلى نفيه ؟ وقال في الصفحة (٥٣) ولو كان للاجنحة فقط خصوصية الداء والشفاء لأمر عليه الصلاة والسلام بغمسها وحدها »

البقية في العدد القادم

معروف الرصافي

الاسلام فى أوروبا الشرقية

فى أمسية الغزو المنغولى

(١٠١٦ م — ١٢٢٣ م)

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانووكز (*)

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

« يعرف التاريخ أن كثيراً من البوذيين أو المسيحيين قد اعتنقوا الدين الإسلامى، ولكن هذا التاريخ لايعرف أن المسلمين قد اعتنقوا البوذية أو النصرانية »

الأستاذ و. بارتولد — جامعة بطرس برج

الذين يعنون بدراسة تاريخ أوربا الشرقية يعرفون أن الدين الإسلامى قد بدأ يتغلغل فى مملكة الخزر (وهى المنطقة الواقعة بين مصب نهر الفولجا والدون) من القرن الثامن الميلادى؛ وفى بداية القرن الحادى عشر أصبح له أتباع كثيرون، ولعله أصبح — وإن لم يكن صاحب النفوذ السياسى — الدين الذى يعتنقه أكبر عدد من الناس. ويعرفون أيضاً أن الإسلام فى مملكة الفولجا البلغارية (جمهورية التتار السوفياتية فى الوقت الحاضر)، قد أخذ ينتشر فى نهاية القرن التاسع، وفى النصف الأول من القرن العاشر، حتى أصبح وطيد الأركان، شامخ البنيان.

وعلى ضوء ما تقدم، ويطيب لنا أن ندرس مصير الإسلام فى هذين البلدين أثناء القرنين السابقين للغزو المنغولى، وذلك بين سنة ١٠١٦ م، وهى السنة التى انهارت فيها مملكة الخزر بصورة نهائية، وسنة ١٢٢٣ م، وهى السنة التى ابتدأ بها الغزو المنغولى الأول.

زالت مملكة الخزر من سجل الوجود عام ١٠١٦، حين هاجمتها القوات البيزنطية والروسية المتحالفة، فهزمت تلك القوات مجتمعة، آخر ملوك الخزر، ووقع أسيراً فى أيديها. ومصير الإسلام فى أراضى مملكة الخزر السابقة، بعد سقوطها والأمر على جانب عظيم من الخطورة؛ ذلك لأن أراضى هاتين المملكتين قد أصبحت المركز الرئيسى للدين والسياسة لحياة عصر هؤلاء البرابرة الذهبى؛ هذا القسم من الأمبراطورية المنغولية الذى أخضع لحكمه روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر، والذى غدا فيه الإسلام — فى وقت قصير — الدين العام لهذه الأمبراطورية.

مصير الإسلام فى المملكة البلغارية على الفولجا

لا توجد صعوبة تتعلق بمصير المملكة البلغارية على نهر الفولجا أثناء الفترة التى نتحدث عنها؛ إذ بقيت هذه المملكة حتى الغزو المنغولى، والدين الإسلامى غير منتشر بين الطبقة الحاكمة من الأتراك والبلغاريين فحسب، وإنما بين القبائل الفينية (Finuish) التى يتألف من أفرادها السواد الأعظم من السكان. وعلى الرغم من ذلك، فإننا لا نعرف بالضبط المستوى الذى وصلت إليه الثقافة الإسلامية بين بلغارى الفولجا فى الفترة نفسها.

وغنى عن البيان أن نشير إلى أن تضعضع المملكة الكيفيانية (Kievant State)، التى كانت تقع إلى الشمال الشرقى من روسيا الحديثة، والتى كانت تعرف باسم سوزادلى (Suzadly)، فى محاذاة المملكة البلغارية، قد جعل الأخيرة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر، المركز الرئيسى للحياة الروسية السياسية. وفى بداية أمسية الغزو المنغولى، أخذت روسيا تمد سلطانها على حساب المملكة البلغارية، حتى استولت عام ١٢٢١ م على مصب نهر أوكا (أحد الروافد الرئيسية لنهر الفولجا)، وفى السنة نفسها بنيت مدينة نجنى نفجورد (Nijnï Novgord).

وتنحصر المشكلة، تحت وطأة هذه الظروف، فى تتبع مصير الإسلام فى أوربا الشرقية، فى أمسية الغزو المنغولى، فى مملكة الخزر.

(*) سبق أن قدمنا الأستاذ المؤرخ المسلم لقراء فى عدد الرسالة ٩٢٩ وهذا مقال رائع آخر نشره فى مجلة (اسلامك ريفيو عدد مايو ١٩٥١) نترجمه لقراء الرسالة لبراعة العرض ودقة التحليل وعمق الفكرة، التى يمتاز بها أسلوب هنا للمؤرخ المسلم النابه فى كل ما يكتب فى موضوع اختصاصه من تاريخ المسلمين.

المترجم

فى أيدى أعدائها ، لم يدرس الدراسة التى يستحقها ، ولم يمن به أحد ، كما أعرف ، حتى اليوم .

ومرد ذلك إلى قلة المصادر ، ليست المكتوبة منها فحسب ، وإنما الآثار الإسلامية نفسها ، فإنها مشوهة وقليلة جدا . ولكى نفهم هـذا الأمر فهما دقيقاً ، علينا أن نذكر أن أراضى مملكة الخزر السابقة قد صارت مسرحا لحروب دامية ومدمرة ، كانت تمحو من الوجود مدنا بأسرها ، وتتركها أنقاضا ، تنشأ فوقها فى كثير من الأحيان ، مدن حديثة .

ومن المحقق أن هـذه الأنقاض تؤلف مصدراً خصبا للآثار الإسلامية ، وأن عمليات التنقيب ، لأسباب لا يتسع المجال لذكرها ، لم تتجاوز فى أحسن أوقاتها ، المراحل الأولى ، وفى كثير من الأماكن المهمة لم تبدأ أبدا . ونذكر على سبيل المثال أن موقع عاصمة مملكة الخزر أتيل لما يكتشف

ولما كانت المدن التى بناها هؤلاء البرابرة فى عهدهم الذهبى ، قد قامت على أنقاض مدن مملكة الخزر التى هدموها ، لذلك كثيرا ما كانت نتيجة التنقيب ، لا تتجاوز الطبقات التى تتصل بعهد أولئك البرابرة الذهبى . أما الطبقات التى يحتشا ، والتى تقص حكاية مصير الإسلام فى ثناياها ، فى الفترة التى نتحدث عنها (١٠١٦ — ١٢٢٣ م) فلما نصل إليها أيدى المنقبين .

غير أن هذا النقص فى هـذه المقدمات التى تمين على دراسة هذه المشكلة التاريخية ، ينبغى أن لا يبقى عقبة تبرر إهمال هـذه الدراسة . وعلى النقيض من ذلك يجب أن تحفز هـذه الحقيقة رغبتنا ، وتبعث فينا حب الكشف عن المجهول ، وتدفعنا الى التفتيش عن مصادر لم نفتش عنها قبل اليوم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنه ينبغى ، بادىء ذى بدء ، قبل الحصول على معلومات وافية عن طريق التنقيب ، أن نلخص ما هو معروف من حقائق التاريخ ، لنستطيع رؤية النتائج التى يمكن أن تنشأ عن مقدمات من هذا النوع . وهذا ماحفزنى إلى محاولة الكشف عن هذه الحقائق الغامضة ، التى ليس فى استطاعتى قول الكلمة الفاصلة فى شأنها ، ولكن إذا قدر لى أن أوضح خطوط المشكلة الرئيسية بعض التوضيح ، فقد يصيب محاولتى ما أرجوه لها من توفيق .

وسأستعين ، بكل ما يتصل بالمصير السياسى لسكان مملكة الخزر السابقة ، بنظرية المستشرق الروسى المظيم ف جريجوريف (V: Grigorfev) ، الذى يعتقد أن أولئك السكان قد اندمجوا بالقبشاك (Kipchaks) ، وهم قوم رحل من دم تركى ، تطلق عليهم المصادر الأوربية اسم كوماز (Cumans) ، والمصادر الروسية اسم بولوفرسيس (Polovrsuis) (١) . ولسوء الحظ ، لم يحاول البروفسور جريجوريف ، كما أعرف ، دعم آرائه بمصادر يمكن الرجوع اليها ، ولذلك لا ممدى لنا من إيضاح بعض الغموض الذى يكتنف هذا الموضوع .

أما مصير الإسلام فى مملكة الخزر السابقة ، فسأحاول أن أوضح أن خضوع هذه المملكة للقبشاك ، قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من بداوتها ، عن هؤلاء الناس ، الدين الإسلامى الحنيف .

وتحت هذه الظروف ، سأحاول تقسيم هذا المقال إلى قسمين: (١) اندماج الخزر فى القبشاك . (٢) اعتناق العناصر التى تحضرت من القبشاك الإسلام فى مملكة الخزر السابقة

١ — اندماج الخزر فى القبشاك :

نظرا للدور المهم الذى مثله القبشاك فى القسم الشرقى من أوربا ، والقسم الغربى من آسيا ، نرى قبل المضى فى الحديث عن هـذا القسم ، أن نشير إشارة عابرة إلى أهميتهم السياسية فى التاريخ .

إن القبشاك هم آخر الجماعات الرحل التى وصلت إلى أوربا من أواسط آسيا ، قبل المنغول ، بأعداد كبيرة جدا . وحين نتحدث عن أهميتهم السياسية يكفى أن نعرف أن هجرتهم قد شملت مساحات هائلة ، امتدت من منابع الأرتشى (Irtush) فى سيبريا عبر سهوب الكازاخستان (Kazakhstan) إلى جنوب روسيا حتى مصب نهر الدانوب ، وعلى الرغم من أن القبشاك لم يتمكنوا من تكوين وحدة اجتماعية ، وعاشوا حتى الغزو المنغولى ، قبائل متفرقة ، بسبب عددهم الهائل ، والمساحة المتسعة التى شملتها

(١) تبحث الأوبرا المشهورة التى كتبها بوردون Borpdin وعنوانها (الأمير أجور) عن حملة هذا الأمير ضد هؤلاء الناس .

هجرتهم ؛ إلا أنهم لعبوا دورا عظيما فى تاريخ البلدان المجاورة ، وبصورة خاصة فى خورزم ، وجورجيا ، وروسيا ، وهنغاريا ، وبزنطيا . ومن الضرورى أن نشير إلى أن مصر كانت تستمد مماليكها من منتصف القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر من هؤلاء القبشاك بصورة رئيسية ؛ ذلك لأن تجار الرقيق من الإيطاليين ، كانوا يجلبون من موانىء شبه جزيرة القرم ، الرقيق من القبشاك ، ويبيعونه بعد ذلك فى ميناء الإسكندرية . وكما هو معروف فى التاريخ ، أن السلطان بيبرس (توفى سنة ١٢٧٧م) أحد أعاظم المماليك كان من القبشاك ، وأخيرا أصبح القبشاك يؤلفون الكثرة المطلقة من سكان عصر المغول الذهبى .

أما المستوى الثقافى لأولئك القبشاك فقد كان يتباين كثيرا؛ إذ كان يعتمد ، إلى حد بعيد ، على قدر اتصالهم بالبلدان المتمدينة من قريب أو من بعيد ومن المحقق أن أولئك الذين عاشوا مجاورين للخورزم ، وعددهم كبير جدا ، قد تأثروا بالإسلام تأثرا قويا عميقا . والسؤال الذى بقى يدور فى خواطرنا فى هذه المرحلة ، أن نبين المصير الذى آل إليه الخزر بعد سقوط دولتهم .

لقد اجتاح القبشاك أراضى مملكة الخزر السابقة ، فتلاشى بالتدريج اسمهم من التاريخ ، ولم يعد لهم إلا بعض الذكر فى المدن . وقلما نمر بدراستنا بفترة تتصل بأراضى مملكة الخزر السابقة ؛ ولا نجد ذكر القبشاك يعلاها ، وإلى جانبهم ، بصورة محدودة ذكر الآلان Alains ، وهم شعب من أصل إيرانى كونوا أقلية كان لها خطرها فى مملكة الخزر السابقة . والذين لا يزال أحفادهم ، حتى اليوم ، يعيشون فى شمال القفقاس ويعرفون بالأساتمة (Ossetes) . ولهذا السبب نجد أن رشيد الدين ، مؤرخ امبراطورية المغول المشهور ، حين يتحدث عن وصول المغول فى الهجرة الأولى ، للامبراطورية الشرقية عام ١٢٢٣ م يصف كيف أتوا من إيران عن طريق القسم الشرقى من القفقاس ، واضطروا فى الشمال إلى كسر شوكة المقاومة القبشاكية والآلانية : ومن البديهى أنه لو بقى للخزر سلطان سياسى ، للعبوا دورا مهما فى مقاومة المغول ، ولكان لهم ذكر فى تاريخ رشيد الدين . ونجد الحقيقة نفسها ، فى استيلاء المغول بصورة نهائية على أراضى مملكة الخزر السابقة فى ابتداء السنة الثلاثين فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فلقد كان القبشاك الذين قاوموا المغول والشعوب الأخرى لا ذكر لها ، ومن بينهم الخزر

والمصادر الفارسية تتحدث من جهة أخرى عن استيلاء القبشاك على شبه جزيرة كرش Kerch فى أهمية الغزو المغولى ، والتى كانت تحت حكم الخزر

ومن غير المعقول أن أمة قوية كالقبشاق ، يمكن أن تترك وراءها أمة محاربة كالخزر دون أن تخضعها أولا

وأحسب أننا فى غير حاجة إلى الدخول فى تفاصيل أخرى بعد ما تقدم لتؤكد أن القبشاك ، قلموا الخزر فى المنطقة حتى مصب الفولجا ، تلك المنطقة التى كانت المركز السياسى لدولة الخزر ، التى ذابت فيهم بالتدريج ، والتى ازدهر فيها الإسلام قبل وصول هؤلاء الغزاة الذين سارعوا لاعتناقه

وسنحاول الآن تبيان أن اندماج الخزر بالقبشاك قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من هؤلاء الغزاة ، مبادىء الدين الإسلامى الحنيف بالتدريج

٢ — إعتناق القبائل القبشاكية التى استقرت فى مملكة الخزر الإسلام : —

يعتبر المستشرف الروسى المعظم ف . بارنولد الذى توفى عام ١٩٣٠ حجة فى سعة الاطلاع على مصادر التاريخ الاسلامى فى مملكة الخزر السابقة . والذى أعرفه أنه لم يحاول مطلقا ، دراسة مصير الإسلام فى هذه المملكة دراسة جدية ، وكثيرا ما يجد الإنسان بعض الأحيان تناقضا فيما كتبه عن هذا الموضوع ولكن ما ذكره بصورة عامة عن جبروت الاسلام ، وسحره ، وما اسهب فيه من الدعاية لذلك الدين بين العناصر التركية ، يسند إلى حد بعيد الرأى الذى بسطناه فى هذا الموضوع من اعتناق هؤلاء القبشاك الدين الاسلامى ولا يتناقض معه أبدا وقد رأيت أن أقتبس بالحرف الواحد ما ذكره المستشرق المعظم بارنولد عن هذا الموضوع :

قال بارنولد : « إن المعجزة العظيمة للاسلام ، إذا ما قورن بالديانات الأخرى ، تتركز فى أن العالم الاسلامى كان فى تلك

الفترة ، فى مستوى رفيع من الطاقة الثقافية ، والرخاء الاقتصادى بين الشعوب المتمدنة . وكان هؤلاء الرحل فى حاجة مستمرة إلى البضائع المصنوعة فى تلك الأقطار المتمدنة ، وبصورة خاصة إلى الاقمشة . وكان الاتجار مع هؤلاء الرحل ، فى الوقت نفسه ، عظيم النفع لتلك الشعوب المتحضرة . لكن هذه التجارة كانت ضرورية لهؤلاء الرحل الذين كانوا يطلبونها من الأقطار الغربية المتمدنة ، ولما أصبحت البضائع التى يشترونها من البلدان الإسلامية من ضروريات حياتهم تأثروا بالإسلام ، لا عن طريق الدين فحسب بل عن طريق الحضارة الرائعة التى كان يتسم بها ذلك الدين . ولم يكن أمامهم غير اعتناق الإسلام ليجعل صلاتهم الروحية والمادية متينة مع تلك البلدان والشعوب الإسلامية

« ولقد أظهر الإسلام صفة أخرى يمتاز بها عن سائر الديانات المعروفة ، أثناء الدعاية له بين الترك ؛ ذلك أنه على الرغم من قلة عدد اتباعه بالقياس إلى الديانة البوذية والمسيحية ، فأنه يمكن لنفسه فى قلوب البشر كدين عام للانسانية ، بأوسع ما تحويه هذه الكلمة من معنى ؛ لأنه لا يقصر نفسه على جماعة أو جنس من بنى الإنسان . إن النجاح الذى صادفته الديانات الأخرى كان فى بعض الأحيان أكثر مما وصل إليه الإسلام ؛ غير أن ذلك النجاح لم يعمر طويلا . فلقد عرف تاريخ الديانات فيما عرف الديانة المانيكية (١) Manicheism التى امتد ظلها فوق الأرض وكان لها أتباع ينتشرون من جنوب فرنسا إلى بلاد الصين ، غير أن هذا الانتشار لم يكفل لها الحياة فذهبت إلى غير رجعة ، ومحيت من سجل الوجود . والديانة البوذيه ابتدأت بنشاط عالى ، وراحت تنتشر فى بلاد الغرب محمولة على أجنحة دعاية قوية ، ولكنها انكمشت على نفسها لتصبح ديانة البلدان الراقدة فى شرق آسيا . وقبل انتشار الإسلام كان للنصرانية أتباع بين الترك أنفسهم ؛ وفى الوقت الذى أوصدت الأبواب فى منغوليا أمام الدعاية الإسلامية ، اعتنق الديانة المسيحية عدد كبير من الناس الذين كانوا يعيشون فى الأجزاء الجنوبية والشرقية والغربية من هذه البلاد ؛ غير أن هذا النجاح لم يكن غير سحابة صيف . وفى الوقت الحاضر يبدو أن النصرانية هى ديانة العالم الأوربى ؛ غير أن المسيحيين وراء حدود هذا العالم الأوربى ، من الناحية العددية والسمو العقلى ليست لهم قيمة فى الأمرين بالقياس إلى المسيحين فى أوربا . أما الأسلام فلقد أصبح عن طريق ما فيه من صدق ، دين الشعوب المتمدنة فى أوساط آسيا وشرقها ، ويزيد عدد اتباعه وخاصة فى الهند ، وفى الأرخبيل الأندونوسى عن عددهم فى غرب آسيا . ويؤلف المسلمون فى الصين عنصرا مستقلا بثقافته الدينية التى تقوم بالتعبير عنها لغتهم الأصلية دون الشعور بالحاجة إلى مساعدات خارجية ، على حين أن محاولة الديانة المسيحية التمكين لنفسها فى الصين قد باءت بفشل ذريع وخيبة مخجلة . وفى أفريقيا صادفت النصرانية نجاحا ضئيلا بالقياس إلى الدين الإسلامى وبين الأحباش ، الشعب الأفريقى الوحيد الذى استطاعت الكنيسة أن تجد لها مكانا فيه . امتدت الدعاية الإسلامية إلى السكان نفسه ، وصادفت نجاحا حتى فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر . وخلاصة القول أن التاريخ يعرف أن كثيرا من الشعوب البوذية أو المسيحية قد اعتنقت الإسلام ، ولكنه لا يعرف أية جماعة إسلامية اعتنقت البوذية أو المسيحية »

للكلام صلة

على محمد سرطاوى

١ — ديانة انتشرت فى القرن الثالث إلى الخامس الميلادى ، وانبعث فى فارس ، وهى تضع إبليس مع الخالق فى مرتبة واحدة

من وحي التاريخ

عمر بن عبد العزيز

للاستاذ عبد الباسط محمد حسن

سأل الاسكندر حكيما (١) : من يصلح للملك ؟ فقال له .. إما ملك حكيم أو ملك ملتمس للحكمة .. والحكمة فى هذا المقام معناها الفلسفة .. وقد قرن هذا الحكيم السياسة بالفلسفة واعتبرها أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل العدل .. واشترط على الحاكم أن يكون فيلسوفا أو ملتمسا للفلسفة ليعم الأمن وينتشر السلام وتستقيم الأمور وتصلح الأحوال ، وكثيرا ما كتب الحكماء فى نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم وزعموها توفر على الناس فى هذه الدنيا اللذة والسعادة وتنفى عنهم الألم والشقاوة . فعل ذلك أفلاطون فى الجمهورية والفارابى فى أهل المدينة الفاضلة وتوماس مور فى أوطوبيا كما فعله كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله . . ومن كتاب هذا العصر الذين تناولوا هذه الناحية كاتب اسمه « موروا » وله كتاب اسمه فن الحياة . . من فصول هذا الكتاب فصل فى فن الحكم يتكلم فيه المؤلف على أخلاق الرؤساء الذين يسوسون أمور الناس . والرئيس الكبير فى نظره هو صاحب الخلق الكبير . . ومهما قال الحكماء أو تحدث الكتاب ، ومهما اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر . . فإن (٣) السياسة تعتمد اعتمادا كبيرا على الأخلاق . . لأن السياسة التى لا خلق لها إنما هى سياسة لا تلبث أن تتلاشى كما يتلاشى الدخان فى الفضاء وما نجحت سياسة بعض رجال العرب فى الماضى إلا لأن أصحابها كانوا على خلق عظيم .. من بين هؤلاء الخليفة العربى المسلم عمر بن عبد العزيز الذى ألقت إليه المقادير بزمام الحكم بعد موت سليمان بن عبد الملك دون أن يكون له طمع فى خلافة أو رغبة فى حكم .. وقد نهج فى حكمه نهج جده العظيم عمر الفاروق واحتذى مثاله وسار بالناس فى طريق الخير حتى كان عهده من أحسن عهود التاريخ وأعظمها مكانة وأوفرها خيرا وبركة . . وستظل سيرة عمر بن عبد العزيز قصيدة شعرية رائعة يقرأها الناس فى كل مكان وزمان ليتمتعوا بما فيها من روعة وجمال ، وعظمة وجلال ؛ فالأثر العميق (٤) الذى تركه عهد عمر فى تاريخ الإسلام برغم أن مدة حكمه لم تزد على العامين يدل على أن الخليفة كان ذا صفات عالية .. دقيق الحس فى إدراك الحقائق الواقعة

* * *

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة سنة ٦١ هـ . . وقيل سنة ٦٣ هـ ولا يغيب عن بال أحد أن المدينة كان لها أعظم الفضل فى تاريخ الإسلام والمسلمين . . فإليها هاجر النبي عليه الصلاة والسلام .. وبها كان أكثر (٥) التشريع الإسلامى؛ وكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية فى صدر الإسلام ؛ وبها حدث النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه . وكانت مركز الخلافة فى أهم عصر من عصور الإسلام أيام أبى بكر وعمر وعثمان وبها كان كثير من أكابر الصحابة قد شاهدوا ما فعل النبى وسمعوا ماقال وكانوا شركاء فى بعض ما وقع من غزوات وفتوح ؛ فهم يحدثون بما سمعوا وشاهدوا . . وكانت مكة والمدينة من أهم مراكز الحياة العلمية فى ذلك العصر يقصدهما طلاب الحديث وطلاب التاريخ وقد فاقت المدينة مكة فى ذلك ؛ لأن أشهر من أسلم من أهل مكة هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وكان من يسلم بعد الهجرة من أهل مكة يهاجر كذلك خصوصا إذا كان من رجالات قريش وعقلائها .. وكان طلبة العلم يبعثون إلى المدينة ويرسلون إليها لينهلوا من علومها ويغترفوا من آدابها ويأخذوا عن علمائها. وقد نشأ عمر وشب وترعرع فى هذه البيئة العلمية الزاكية . . وتثقف على أساتذتها وروى الحديث وتلقى الفقه عن جماعة من الصحابة ـ فشغف بالعلم وعلمائه

---

(١) سلوك المالك فى تدبير الممالك .. لصاحبه شهاب الدين بن أبى ربيع
(٢) صور من التاريخ الإسلامى للاستاذ عبد الحميد بك العبادى ص ١٠٥
(٣) العناصر النفسية فى سياسة العرب .. شفيق جبرى ص ١٤٣ ، ١٤٤
(٤) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى ص ٦٧٦
(٥) فجر الإسلام .. الجزء الأول للاستاذ أحمد أمين بك ص ٢٦١

وبالحديث ومحدثيه ونشأت بينه وبينهم صلة طيبـة وعلاقة قوية متينة حتى إنه كان يقول (لأن يكون لى مجلس من عبيـد الله أحب إلى من الدنيـا وما فيها) والمقصود بذلك هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المتوفى سنة ٩٩ ﻫ والذى يقول فيه أيضا (ما رويت عن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس.) كما كانت المدينة تزخرف تلك الحقبة بالحياة الأدبيـة فأخذ عمر بحظه من الثقافة الأدبية . وقد قال عن نفسه (لقـد رأيتنى وأنا بالمدينة غلاما من الغلمـان ثم تاقت نفسى إلى العلم بالعربية والشعر فأصبت منه حاجتى) . وقد أثرت هذه البيئة العلمية فى تكوين شخصية عمر . . فحذق العلوم حتى صار فيهـا إماما ضليعا . . ولذلك يقول فيه ميمون بن مهران المتوفى سنـة ١١٧ ﻫ (ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلاميذ) . .

وهناك عامل آخر أثر فى تكوين شخصية عمر . غير عامل البيئة . . ذلك هو عامل الوراثة . . فأبوه عبـد العزيز بن مروان كان واليا على مصر وأقام بها عشرين عاما منذ سنة ٦٥ ﻫ إلى أن مات سنة ٨٥ ﻫ وجده مروان بن الحكم الذى ولى الخـلافة من سنة ٦٤ — ٦٥ ﻫ . وأما نسبه لأمه فأمه ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وقد ورث كثيرا من صفات عمر وأخلاقه كما كان يحاول التشبه بخاله . . يروى أنه وهو غـلام صغير كان يأتى عبد الله بن عمر لمكان أمه منه ثم يرجع إلى أمه فيقول . . يا أمـة أنا أحب أن أكون مثل خالى) !

يقول فيه جرير عندما كان واليا على المدينة

إليك رحلت يا عمر بن ليلى على ثقة أزورك واعتمادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذى رفع العمادا
تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيـك زادا
وأنت ابن الخضارم من قريش هم نصروا النبوة والجهـادا

وكان (٦) يقال له « أشج بنى أمية » وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام فدخل على أمه فضمته إليهـا وعذلت أباه ولامته ؛ إذ لم يحمل معه حاضنا ؛ فقال لها عبد العزيز « اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بنى أمية » (٧)

(٦) تاريخ الكامل لابن الأثير ﺟ ٦ ص ٢٧
(٧) المصدر نفسه ص ٢٥

وقيل كان ابن عمر يقول « يا ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا » ؟

ولى المدينة سنة ٨٧ ﻫ .. ثم إن الخليفة الوليد بن عبد الملك ضم إليـه بعد ذلك مكة والطائف فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله .. وولى الخلافة سنة ٩٩ ﻫ إلى سنة ١٠١ ﻫ —

على (٨) أن عمر فى عنفوان شبابه لم ينس نصيبه من حيـاة الترف فى حدود الاستمتاع الحلال المشروع حتى إذا حمل أعباء الخلافة نفض يده من الدنيا جملة.. تقول كتب التاريخ فى هذا الصدد (ذكروا أن عمر كان أعظم أموى ترفها . فلا يمر فى طريق ولا يجلس فى مكان الا عرف برائحته . وكان يمشى مشية تسمى العمرية كان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبخترة فيها. وقد ترك كل شئ كان فيه لما استخلف غيرمشيته فإنه لم يستطع تركها.. قال (٩) مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر أعوده فإذا عليـه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة « اغسلوا ثياب أمير المسلمين، فقالت نفعل؛ ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت ألم آمركم أن تغسلوا قميصه ؟ فقالت : والله ما له غيره !

كل هذا يصور لنـا بجلاء أنه لم ينس نصيبه من الدنيا فى شرخ صباه فلما أن ولى الخلافة خرج عن جميع ما كان فيـه من النعيم فى الملبس والمأكل والمتاع

وناحية أخرى تميز بها عمر عن باقى خلفاء بنى أمية . . فـما إن تولى خلافة (١٠) المسلمين حتى جد فى تنفيذ برنامجه الإصلاحى . . ولقد كان له من زهده ومناصرة العلماء له ومواتاة أهل بيته : زوجه فاطمة وابنه عبـد الملك وأخيه سهل ومولاه مزاحم أقوى عون على ما أراد . . بدأ بمنصب الخلافة ممثلا فيـه فجرده من كل مظاهر الأبهة ورده إلى بساطته القديمة . . ثم إنه أمر مناديه أن ينادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . . فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يد سليمان وفى يد أهل بيته من المظالم إلا

(٨) عمر بن عبد العزيز : أحمد زكى صفوت ص ١٣
(٩) ابن الأثير ص ٢٩
(١٠) صور من التاريخ الإسلامى . للأستاذ عبد الحميد بك العبادى ص ١٤٦

ردها مظلمة مظلمة . . وكان يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة ؛ وكان يكتفي باليسير فإذا عرف وجه مظلمة ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من ظلم الولاة قبله للناس . . فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل . يقول ابن[11] الأثير : ولما رجع عمر من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتما فسأله : فقال . ليس أحد من أمة محمد في شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه من غير طلب منه . . وقالت فاطمة امرأته : دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجرى على لحيته فقلت أحدث شيء ؟ فقال : إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري[12] والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذوي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله ، فخشيت أن لا تثبت حجتي عند الخصومة فرحمت نفسي فبكيت . . وقال عبد الملك[13] لأبيه عمر : يا أمير المؤمنين ما تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقا لم تحيه وباطلا لم تمته ؟ فقال يا بني : إن أجدادك قد دعوا الناس عن الحق . . فانتهت الأمور إلى وقد أقبل شرها وأدبر خيرها . . ولكن أليس حسنا وجيلا أن لا تطلع الشمس على في يوم إلا أحييت فيه حقا وأمت فيه باطلا حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك ؟ لهذا كله[14] أغنى عمر الناس جميعا إلا نفسه وأهله ، فلم ير ولي قوم أعف عن مالهم منه ، ولم ير أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل بيته . ولقد أراح عمر الناس ولكنه أتعب نفسه ، فكان حركة دائمة يعمل ليل نهار حتى ذهبت نضرته واحترق جسمه . . توفي عمر بعد ذلك في رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت حياة قصيرة حافلة بجلائل الأعمال وعظائم الأمور . . ولما مرض[15] قيل له لو تداويت ! قال لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها . نعم المذهوب إليه ربي ! قال ميمون[16] بن مهران قال عمر بن عبد العزيز . . لما وضعت الوليد في حفرته نظرت فإذا وجهه قد اسود ؛ فإذا مت ودفنت فاكشف عن وجهي . ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه . .

رحم الله عمر ! ورحم فيه صفاته النبيلة التي ستظل ساطعة على جبين الدهر . . محفوظة في سجل الزمن .

رحم الله عمر . . ورحم فيه ورعه وتقواه . . وعدله وهداه . . لقد عاش عمر . . ومات عمر . . ولكن اسمه سيظل حيا في مماته كما كان حيا في حياته

عبد الباسط محمد حسن

(11) ابن الأثير ج ٥ ، ٦ ص ٢٩ (12) المصدر نفسه ص ٣١
(13) المصدر نفسه ص ٣١
(14) صور من التاريخ الإسلامي . . عبد الحميد بك العبادي ص ١٧٣
(15) ابن الأثير ص ٢٧
(16) المصدر نفسه ص ٢٨

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفني داود الجرجاوي

بقية مانشر في العدد الماضي

وفي القرن الحادي عشر نرى « البديعيات تحتضن التراث الأدبي » وذلك حين أخذت تسلك دورا خطيرا في حياة الدراسة الأدبية عامة وحياة البلاغة بصفة خاصة . وهنا نرى أن المدائح النبوية التي حملت مشعل علوم البلاغة وأسهمت في تطور فنون البديع وأخذت في صورة أخرى تحتضن آثار المدرسة الأدبية حتى أصبحت هذه المدائح صناعة المتأدبين وطريقة السالكين لمذاهب الشعر . ومن هنا صارت تلك المدائح موضوعا للأدب ومحطا للأدباء وميدانا فسيحا لجولاتهم وطريقا ممهدا لمنافساتهم في العصر التركي الذي ضاع فيه ثلثا التراث الأدبي . فكانت المدائح النبوية في القرن الحادي عشر أشبه عاما بالقيم الذي حافظ على تراثنا الأدبي والحصن الذي وجد فيه الأدب العربي حمى لزماره وموئلا لآثاره . كما قامت بدورها الخطير في المحافظة على الذوق الأدبي : حافظت عليه حين كادت اللغة العربية تترك ، وحافظت عليه من التصنيع والتصنع اللذين ظهرا في كثير من أغراض الشعر والنثر ؛ حتى كادا يودبان بقيمهما الفنية ولا سيما في عصر ركدت فيه سوق الأدب وضعفت فيه عناية القوم بالفن والقريض ... ولولا هذه المدائح النبوية لتفاقم الخطب في التراث الأدبي أكثر مما كان ، ولما وصل إلينا من أدب ذلك العصر التركي إلا كل مرذول ممجوج

ولقد عاون على تنافس القوم فيها وتفننهم في نظمها - إذ ذاك - زهدهم الشديد في التقرب إلى الحكام والأمراء الذين كانوا لا يحسنون فهم الشعر ولا يجيدون قيمة المدح أو يكافئون عليه بشيء ، فانقلب الشعراء يمدحون النبي الأعظم وقصروا مدحهم عليه فعالجوا ضروب البديعيات وضاعفوا اهتمامهم بتحبيرها وتدبيجها . ومن ثم كانت هذه المحاولة مظهرا من مظاهر نضوج البديع في ذلك العصر ، فوضع شهاب الدين الحميدي المتوفى سنة ١٠٠٥هـ بديعية « تمليح البديع بمدح الشفيع » في مائة وسبعة وعشرين بيتا كما وضع أبو الوفا المرضي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ بديعية « الطراز البديع في مدح الشفيع » في مائة وثلاثة وثلاثين بيتا

* * *

ولما كان للبديعيات أثرها الخطير ومكانتها الأدبية الملحوظة في المدرسة الأدبية كان من البديهي أن يتناولها القوم بالتعليق والشرح ، فظهرت فكرة « شروح البديعيات » في القرن الثاني عشر ، كما ظهرت فكرة التشطير والتربيع والتخميس والتسبيع وغير ذلك من أنواع التشطير . فوضع صدر الدين الحسيني (١١٢٠هـ) بديعية « أنوار البديع في أنواع البديع » في مائة وثمانية وأربعين بيتا . وكان الناظم كلما وضع بيتا من أبيات بديعيته أتبعه بما قاله السلف قبله مبتدئا بصفي الدين . (١)

وعلى هذا المنوال نسج الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٣٤هـ في بديعيته المساة « نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، في مدح النبي المختار » وهي بديعية طويلة تقع في مائة وخمسين بيتا ، كما وضع أخرى تقع في مائة وواحد وخمسين بيتا تسمى « مليح البديع في مدح الشفيع » . (٢)

وتلاهما قاسم البكرجي (١١٤٨هـ) في بديعية تقع في مائة وثلاثة وخمسين بيتا تسمى « حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع » (٣) ، وعلى بن محمد القلعي (١١٥٨هـ) في بديعيته المساة « مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج » . (٤)

* * *

وفي القرن الثالث عشر ظهرت « بوادر التحول » والانتقال في حياة البديع ، وقد كان للنشاط السياسي في مستهل ذلك القرن — وهو فجر النهضة — أثره القوي في الحياة الفكرية ... (٥) فظهر جماعة من شعراء النهضة عالجوا البديعيات في دواوينهم علاجات تجلت فيها روح إنسان يحاول أن يميز بين

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١٩١ س ١٤ (بتصرف)
(٢) بديعية المحبي (انظر ٣٢٣ بلاغة)
(٣) انظر ٣٠٤ بلاغة ، ٢٠٤ بلاغة .
(٤) بديعية البكرجي ... ٢٧٣ بلاغة مخطوط .
(٥) بديعية القلعي ... ٧٢ بلاغة مخطوط .

يومه وأمسه ... ونجح بعض الشعراء الذين آمنوا بما كان يخالجهم من ضرورة إلى التجديد ، منهم محمود صفوت الساعاتى (١٢٩٨ هـ) إذ نظم بديعيته سنة ١٢٧٥ هـ فى مائة واثنين وأربعين بيتا معارضا بها بديعية ابن حجة الحموى ، وعنى بشرحها المرحوم عبد الله باشا فكرى ناظر المعارف العمومية فى ذلك الوقت . (٦)

وفى أوائل القرن الرابع عشر تبلبلت ألسنة الشادين بين «التقليد والتحرر» : بين المذهب التقليدى الذى ورثوه ومذهب التحرر الذى نودى به فى عصر النهضة

فن البديعيين جماعة غلبت على أنفسهم الروح التقليدية فنظموا البديعيات على الطريقة التى نظم عليها من سبقوهم وذكروا كل ما وصل إليه توليد القدماء والمتأخرين والمحدثين من فنون البديع . ومن هؤلاء محمد أمين المصرى المتوفى سنة ١٣١١ هـ ومحمد بدر الدين الرافعى المتوفى سنة ١٣١٢ هـ . وقد انتهى تطور البديعيات عند هذا الأخير فبلغ مجموع ما أورده من فنون البديع مائتين وستة ذكرها فى مثلها من الأبيات

ومنهم من تخلص من ربقة التقليد ومضى فى ركاب المتحررين ، فظهرت آثار التجديد فيما نظمه من بديعيات ، ومن هؤلاء حسن حسنى الطويرانى التركى (١٣١٥ هـ) وطه الجزائرى (١٣٤١ هـ) وأمير الشعراء أحمد شوقى بك المصرى (١٣٥١هـ)

وقد كان طريق هؤلاء الشعراء وعرا محاطا بالصعاب ؛ ذلك لأن التحرر من التقليد الموروث لم يكن بالشيء اليسير فى الحياة الأدبية ، فيصعب على النفس زواله سريعا . لذلك كان علاجه أمرا صعبا ، وكان شأن المتحررين شأن من يسلك طريقا لا يعرف كنهه أو يحيط بمعالمه ؛ فهو يهتدى تارة ويضل أخرى . ولعلك حين تقرأ قصيدة «نهج البردة» لشوقى بك — وهو آخر هؤلاء المتحررين — تلمس عن كثب مبلغ ما وصل إليه شعراء النهضة من تبلبل بين «المذهب التقليدى القديم» و «المذهب التحررى الحديث» . ولعلك وقد أوتيت حظا من نفاذ الفكر وبسطة من الذوق تلمس — وأنت تقرأ قصيدة نهج البردة — معالم ما وصلت إليه البديعيات من تطور ، تلمس كل ذلك فى ثنايا هذه القصيدة :

« ١ » فهو حين يلتزم بحر البسيط وقافية الميم — وهما قدر مشترك فى سائر البديعيات — ترى فيه شخصية المقلد الذى لم يستطع أن يتخلص من ربقة التقليد

« ٢ » وهو حين يرسل الفنون البديعية بغير قصد ملموس أو تكلف ممقوت يستند عليه فى إيرادها ويزمع فيه إلى سردها — تلمس فيه شخصية المتحرر الصادق فى تحرره

هكذا كان ناظمو البديعيات فى القرن الرابع عشر ، ما كانوا يسيرون على قدمين من التقليد والتحرر . وقد يبدو لك فى ذلك بعض التناقض . وليس ذلك من التناقض فى شيء . وإنما هو مرحلة التطور والانتقال من القديم إلى الحديث . كان لا بد للبديعيات من أن تمر بها فى عصرنا هذا ، حين تم فيه امتزاج العنصر القديم بالعنصر الحديث . فلم يستطع الناظمون بعد أن يتخلصوا من القديم كله ، كما لم يستطيعوا أن ينهضوا بكل ما ينبغى عليهم من تحرر . لذلك بقيت معالم التقليد فى بحر البسيط وقافية الميم كما هى — وهى الحدود التى لم يستطع أحد من الشعراء أن يخرج عنها — وظهرت معالم التحرر فى طريقة العرض والاختيار وعدم التقيد بسرد فنون معينة من البديع

وقد أدرك الويلحى شيئا من هذا الذى ذكرناه حيث قال : « ولقد وفق بحمد الله شاعرنا أحمد شوقى إلى سلوك هذا السبيل فى شعره فلم يقتصر على قرض القريض فيما تجرى عليه الأحوال فى عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتحى مناحيهم فى فنون الشعر واقتدى بهم هذه فى هذه القصيدة عما يسمونه بالبديعيات فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

وبعد فهذه مراحل تطور البديعيات النبوية التى تحدثت عن نشأتها فى العام الماضى أوضحت لك فيها ما أفدناه من تطور فنون البديع حتى أصبحت مائتين وستة من الفنون . ولكننا لم نجد بعد أمير الشعراء شاعرا آخر يعود بنا إلى هذا التقليد الكريم فى شعره . وإنا لمنتظرون ما يعز بعد ذلك من تطور *

حامد حفنى داود الجرجاوى

(٦) تاريخ البديع لصاحب هذا المقال ص ١٤٨ ، ١٤٩ مخطوط

(٧) ديوان الساعاتى ... ومقدمته للمنفلوطى ص : ٥ ، ٦ ، ٩٦

(١) نهج البردة ومقدمة الويلحى ص : دس : ٨

* أرجىء حديثى عن « بلاغة البديعيات » إلى العام القادم .

١١ ـ الثورة المصرية ١٩١٩

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

من ١٥ – ٢٩ ديسمبر ١٩٥١ :

لا تزال معركة التحرير على أشدها وما تزال الحرب سجالا بين المصريين والانجليز ، وقد أقضت أعمال الفدائيين الباسلة مضاجع الانجليز ، وأصبحت قواتهم خائفة تترقب الموت فى كل حين وفى كل لحظة

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥١ اجتمع محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر بمستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى باريس لحل المسألة المصرية ولكن الاجتماع لم يسفر عن أى نجاح . وقد طلب إيدن إلى صلاح الدين باشا أن تتخذ الحكومة المصرية فورا إجراءات لوقف حوادث القتال وتهيئة الجو للدخول فى مفاوضات، فأجابه وزير الخارجية المصرية قائلا إن جلاء القوات الإنجليزية هو الاجراء الوحيد الذى يكفل الهدوء والسلام فى منطقة القنال والطريقة الوحيدة لتحسين العلاقات بين البلدين

وسأل إيدن صلاح الدين باشا : هل لدى الحكومة المصرية مقترحات جديدة ، فقال له الوزير المصرى « إن مطالب مصر تتركز فى الجلاء الشامل الناجز ووحدة وادى النيل تحت التاج المصرى . » وأعلن أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء . »

ولم يوافق إيدن صلاح الدين وهكذا فشل الاجتماع وعاد إيدن أدراجه إلى لندن

وقد واصل الانجليز عدوانهم فى منطقة القنال ، وقد واصلت قوات الفدائيين نضالها ضدهم فنسفوا قطارا حربيا بريطانيا قرب السويس وآخر عند أبى سلطان وقد دمروا الخط الحديدى من ميناء الأدبية إلى المعسكرات أكثر من مرة وكذلك نسفوا أنابيب المياه فى كفر عبده وهى التى خرب الانجليز هذا الحى من أجلها

أسوأ عيد ميلاد :

أقبل عيد الميلاد عيد السلام كما هو مفروض ، ولكنه أقبل فى هذا العام على الجنود الانجليز فى منطقة القتال وهم يقتلون ويقتلون . وقد أفزع نشاط الفدائيين المصريين الانجليز مما اضطر قائدهم أرسكين إلى أن يذيع على القوات البريطانية نداء بمناسبة عيد الميلاد استحثهم فيه ألا يشغلهم العيد عن مباشرة أعمالهم والقيام بما يضطلعون به من أعباء والمحافظة على سمعة بريطانيا (؟؟) والحذر من أعمال الفدائيين

وجاء فى النداء أن بريطانيا تجتاز الآن أزمة عصيبة غير أنها ترجو أن تمر بسلام وأن تصل إلى حل سليم لتسوية الخلافات بين الحكومتين المصرية والبريطانية

وجاء عيد الميلاد فكان أسود عيد فى حياة الجند الانجليز فى منطقة القنال ، فقد اشتد نشاط الفدائيين فى جميع أنحاء تلك المنطقة ونسفوا محطة الكهرباء فى الفردان وأنابيب المياه فى البلاح وقطعوا خطوط التليفون فى أكثر من موضع وهاجموا الانجليز فى أكثر من مكان . وهكذا كان عيد السلام فى هذا العام أسوأ عيد على المتعصبين البريطانيين

كلمة اللسان :

فى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ استقبل معالى عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية سعادة عبد السلام الشاذلى باشا وجرت بينهما مناقشة حول استيلاء الحكومة على نادى الجزيرة ودافع الوزير عن وجهة نظر الحكومة

قال عبد السلام باشا للوزير : كان يجب عليك أن ترجع لوزراء الشئون السابقين لتستشيرهم قبل أن تقدم مثل هذا الاقتراح فإننا نعرف هذا النادى (الانجليزى) ويظهر أنك لا تعرفه ولعلك لم تزره

فقال عبد الفتاح باشا : لقد استشرت ضميرى وراعيت فى الاقتراح ما يقتضيه صالح بلادى دون أى اعتبار

واحتدت المناقشة وقال الشاذلى باشا : إن قرار مجلس الوزراء بتخصيص أراضى نادى الجزيرة للمنفعة العامة هو جريمة

وهكذا سقط الرجل : ورد عبد الفتاح باشا على الشاذلى باشا قائلا : « أنا لا أسمح لك بهذا الكلام فإن إلغاء نادى انجليزى ليس الجريمة وإنما الجريمة ما ترتكبه أنت الآن من دفاع عن هذا النادى الانجليزى »

دولة جديدة :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال ليبيا واعتلاء الملك إدريس السنوسى عرش الدولة الاتحادية الجديدة التى تتألف من برقة وطرابلس وفزان

ونحن نهنئ الدولة الجديدة باستقلالها ونهنئ العالم الإسلامى بها ، ونرجو أن تتمكن فى القريب العاجل من تحطيم قيود استقلالها والانضمام إلى الكتلة الإسلامية الحرة لأن هذه الكتلة هى التى ستبعث الأمن والسلام إلى هذا العالم المضطرب

٢٦ ديسمبر :

قام الفدائيون بأعنف هجوم على المعسكرات البريطانية ، فدمروا شبكة الخطوط البريطانية بلغم زنته ٧٣ كيلو جراما ونسفوا أنابيب محطة المياه والطريق الحربى الممتد من ميناء الأدبية إلى المعسكرات . وقد انتابت أرسكين موجات من الفزع والهلع فهدد بحشد جميع القوات التى تحت إمرته لسحق كتائب الفدائيين فى القنال

وقد شاهدت القاهرة والاسكندرية مظاهرات قام بها الطلبة واستخدم البوليس فى قمعها الرش والقنابل المسيلة للدموع وأغلقت الجامعات الثلاث والمدارس الثانوية

وقبل أن أختتم كلمتى هذه عن معركة التحرير الحالية أحب أن أقول لمواطنى : احذروا الفرقة والانقسام فإن عدونا يتربص بنا ، وما دامت كلمتنا متحدة متفقة فسيضطر العدو إلى الاستجابة لمطالبنا . أما إن تفرقنا فستذهب ريحنا ونضيع جهودنا . والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير بلادنا

أبريل ١٩١٩

فى ٧ أبريل أعلن المندوب السامى الإفراج عن سعد وصحبه فامتلأت قلوب المصريين فرحا وعمتهم الغبطة وقامت المظاهرات فى القاهرة والأقاليم تعلن ابتهاج مصر وفرحها . واشترك فى هذه المظاهرات ألوف من المصريين من جميع الطبقات ؛ وكانت دار سعد وجهة الجميع

وقد شارك النشالون الأمة فى شعورها فأعلنوا تأمينا للناس على جيوبهم امتناعهم عن العمل ثلاثة أيام سويا !!

وقد قامت فى ٨ إبريل مظاهرة كبرى اشترك فيها العلماء والقسس والطلبة والضباط المصريون وأعضاء الجمعية التشريعية ومشايخ العربان والتجار والأعيان والقضاة والأطباء والموظفون والعمال ، وكان يعقب مواكب هذه الطوائف مركبات تحمل سيدات من أرقى العائلات

ولكن الانجليز لم يتركوا الأمة فى فرحها بل تحرش الجند بالمتظاهرين وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط منهم أربعة شهداء

وقد اعترف المندوب السامى بخروج الانجليز عن حدهم وأعلن أسفه لما حدث منهم

وفى ٩ إبريل أقيم احتفال عظيم بتشييع جنازات الشهداء اشترك فيه ألوف من جميع الطبقات وكان هتافهم « لتحيى ضحايا الحرية »

واستمر عدوان الانجليز قائما وكان لهم فى كل يوم ضحايا وشهداء

وزارة رشدى باشا

ظلت مصر بلا وزارة منذ ديسمبر ١٩١٨ وفى ٩ إبريل ١٩١٩ شكلت وزارة رشدى باشا الثانية واشترك فيها عدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا ويوسف وهبه باشا

وقد طلب ضباط البوليس والجيش المصرى أن يعهد إليهم بالمحافظة على الأمن والنظام ولكن لم يلب الطلب

تأليف الوفد الرسمى

فى ١٠ إبريل اعتز الوفد ماليا إذ تبرع له بدراوى عاشور باشا بمبلغ عشرة آلاف جنيه والأمير يوسف كمال بألفين وانهالت

عليه التبرعات من جميع الطبقات والطوائف وجمعت له الأموال الطائلة

وفى ١١ إبريل تألف الوفد الرسمى من : سعد زغلول . على شعراوى . اسماعيل صدقى . محمد الباسل . محمد محمود . عبد العزيز فهمى . أحمد لطفى السيد . مصطفى النحاس حافظ عفيفى . حسين واصف . محمود أبو النصر . محمد عبد الخالق مدكور

وفى ١١ إبريل سافر باقى أعضاء الوفد وهم الذين كانوا بمصر إلى باريس لينضموا إلى سعد وزملائه الذين كانوا فى المنفى ، ومرة أخرى خرجت مصر بأسرها لتودع أبناءها المسافرين للدفاع عن قضيتها ، ثم خرجت مصر لتعبر عن شعورها وعن آمالها فكان أروع توديع

وفى ١٢ إبريل ألفت اللجنة المركزية للوفد بمصر ، وكان لهذه اللجنة شأنها وخطرها فقد تولت قيادة الثورة بمصر وكانت تمد أعضاء الوفد بباريس بما يحتاجون إليه من معلومات

استمر الانجليز فى طغيانهم ومن أمثلة ذلك ما حدث فى سقط الملوك بمديرية البحيرة فى مساء ١٢ إبريل . وكانت دورية بريطانية تمر بالقرية فزعمت أنها سمعت طلقا ناريا أطلق عليها . وكان رد الانجليز محاصرة القرية وإخراج جميع رجالها ثم اقتادوهم تحت جنح الظلام إلى المحطة . وهناك جردوا من ملابسهم إلا ما يستر العورة وأخذوا واحدا بعد الآخر إلى كشك المحطة . كان الواحد يؤمر بإدخال رأسه فى شباك صرف التذاكر ، ويقبض بعض الجند على رأس الرجل من الداخل بينما يلهب آخرون ظهر الرجل بالكرباج من الخارج

وفى قنا ألقى قائد الجيش أمرا يقضى بإلزام جميع المصريين بتحية كل ضابط بريطانى يمر بالشوارع وقوفا والتسليم عليه سلاما عسكريا ، ولكن رفض القضاة وأعضاء النيابة الأمر وأبلغوا وزير العدل أنهم سيلزمون منازلهم حتى لا يؤدوا مثل هذه التحية إلى الضباط الانجليز . وقد كان موقفهم مدعاة لإلغاء هذا الأمر

وفى ١٠ إبريل شكل الموظفون لجنة للنظر فى الموقف وتقررت الاضراب حتى تجاب المطالب الآتية :

١ : أن تصرح الوزارة بصفة الوفد الرسمية

٢ : أن تشكيل الوزارة لا يفيد الاعتراف بالحماية

٣ : إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود الانجليز من الشارع ، وقد قبلت الحكومة أكثر الطلبات ولكن المندوب السامى لم يوافق

ولما لم تجب المطالب أضرب الموظفون ، وقد حاول رشدى باشا تسكين ثائرة الأمة فأصدر منشورا يدعوها إلى الهدوء والسكينة ويطلب إلى الموظفين العودة إلى أعمالهم حتى تسير دفة الحكم

ولكن المنشور لم يشر بتاتا إلى مطالب الأمة ولذلك لم ينفذه الموظفون وواصلوا إضرابهم . وقد هددهم رشدى باشا فى منشور آخر بتاريخ ١٥ إبريل ولكنهم لم يأبهوا لتهديده

وقد أدعت الصحف الأجنبية أن هذه الحركة تقوم بها قلة من المصريين هم طائفة الموظفين وكان الرد على ذلك اجتماع أكثر من ٨٠ ألفا من جميع طبقات الأمة فى الأزهر برياسة الشيخ الأكبر محمد بخيت وفيه تقررت مشاركة جميع الطوائف للموظفين فى الامتناع عن العمل حتى تجاب المطالب

وقد أضربت جميع الطوائف فى اليوم التالى فأصبحت المدينة وكأن ليس بها أحد . وقد اشترك الكناسون فى الإضراب فامتلأت القاهرة بالقاذورات

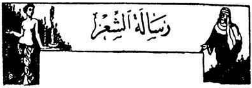
وقد قرر الطلبة تأليف بوليس وطنى ولكن الحكومة قررت منعه ، وكانت لجنة الوفد المركزية تواصل أعمالها بهمة ونشاط وتجمع التبرعات التى أقبل الناس عليها إقبالا عظيما ولكن هذا العمل لم يرق فى عين الانجليز فأصدر المندوب السامى أمرا حظر فيه جمع هذه التبرعات

وفى ٢٠ إبريل جاء عيد الفصح فتجلت الوحدة المصرية قوية رائعة فقد توجه المسلمون إلى دور أخوانهم الاقباط مهنئين بالعيد ورد الأقباط الزيارة لإخوانهم فى المساجد

ولم تستطع وزارة رشدى تسيير دفة الأمور فى مصر وظلت الأحوال مضطربة والأمة ثائرة . واضطر رشدى باشا إزاء ذلك إلى الاستقالة فى ٢١ ابريل

وكان عمر وزارته تلك إثنى عشر يوما

أبو الفتوح عطيفة



من وحى النار والدخان

للأستاذ على الصياد

أشعلوها جهنما تسحق العا دى وتصليه فى لظاها النارا
أشعلوها وحطموا صنم الظلم وعيشوا فى أرضكم أحرارا
واغسلوا بالدماء أرض الفراعين من العار واستطوا الأخطارا
إنمـا أنتمو زبانية الحق فمن رامكم يلاق الدمارا
يا ذئاب التاميز إنا أباة قد صحونا نبيد الاستعمارا
ومشينا على جناح المنايا وبليل الخطوب صرنا نهارا
مصر حواؤنا الرءوم فمن يرضى لحوائه الأذى والعارا
نحن فى حومة الكفاح سعير يتحدى المستعمر الغدارا
كل قلب دماؤه ثورة ألهمها الله بطشه القهارا
حسبنا أننا إذا ما طغى الأعداء كنا أمامهم أقدارا
يا خفافيش الغرب مهلا ففجر النيل أضحى يفجر الأنوارا
إنه فجرنا الطليق أبى قيـد الليالى فشع يطوى الإسارا
ومضى فى الوجود يجتاح آفاق الدياجى مظفرا جبارا
أينما طرتمو رأيتم له بين الورى برقا يخطف الأبصارا

* * *

أيها المستبد فى أوطانى مصر مهما طغيت للسودان
وحد الله بيننا وسقانا سلسل الود والهوى والحنان
وعلى قمة الزمان بنى أوج علانا موطد الأركان
وإذا شيد الإله بنـاء عجزت دونه قوى الإنسان
أيها المستبد نحن لدات لم تحل بيننا يد الحدثان
سائل الشرقين عنا فإنا أمة لن تلين للطغيان
جدفت بالأرواح فى لجج الموت وصارت مجنونة الإيمان
تتخطى اللجات باطشة بطش المقادير بين عصف الهوان
همها فى مجازر الدم أن تقتات بالخلد فى حمى الرحمن
هـذه ثورة القنال أذاقتك المآسى كثيبة الألوان
قد مشينا فيها على النار نختال وكنا كالماء فى النيران
وعلى صفحة الزمان رسمنا باللهيب الفخار رغم الزمان
كيف ننسى الطفل النبيل الذى جن فأسقاك علقم الخسران
حين شق الدجى وبين يديه فجر آماله العذاب الحسان
إن يكن مات فهو بين سموات العلا خالد خلود المعانى

* * *

إنما مصر جنة العلياء قد سقاها الأسلاف أغلى الدماء
فنما المجد فى رباها وريفا تشتهى مداه شهب السماء
وعلى أرضها الندية أدواح المعالى فواحة الأشذاء
نحن رعيانها العماليق لن نرتشف النوم فى جناز الضياء
سنبيع الأرواح بالذود عنها ونرويها من دم الشهداء
أنت يا مصر فى دجى الخطب محراب نصلى فيه صلاة الفداء
نشترى بالفناء فى ساحة الحرب خلود الخلود فى كبرياء
النهايات فى الفخار بدايات لنـا فى معارك الهيجاء
والبطولات كلها فى دمانا عزمات مسعرات المضاء
كيف نخشى العدا ونحن قوى الحق وما الحق غير سيف القضاء
قوة الحق قوة الله فى الأرض فبشر أعداءنا بالفناء
شعراء الكفاح يا أمل النيل ويا مشرق المنى والرجاء
اطلقوا فى الوغى شياطينكم تلهب بالشعر أنفس البسلاء
إن ما فى بلادكم من جحيم الجور يذكى مشاعر الشعراء
رب جيش يقوده شاعر يبنى صروح العلا على الأشلاء

على الصياد

من ليبيا إلى مصر

لشاعر ليبيا الأستاذ أحمد رفيق المهدوى

يا مصر هذا أوان الجد فاتحدى   وجاهدى فى سبيل الحق واجتهدى
يا مصر ما ظهر الإسلام منتصرا   إلا بما كان فى بدر وفى أحد
الحق ينصره صبر وتضحية   لاخوف من قلة الأعداد والعدد
والله لو صدقت فى الذود عزمتكم   لما افتقرتم إلى عون ولا مدد
إن صح عزمكم فالكون يقهره   فرد ، ولم يعتمد يوما على أحد
أما لكم أسوة فى نهج قائدكم   (محمـــد) حينما جاءوه بالفند
إذ قال للقوم لا والله لو هلكت   فى مطلب الحق روحى عنه لم أحد
وليس عنكم بخاف إن ذكرت لكم   (غندى) وتصميمه تصميم معتقد
وعندكم بين أيديكم (مصدق) إذ   امضى إرادته فى جرأة الأسد
ولست أحتاج للأمثال أضربها   فإنكم فوق من يدعى إلى رشد
أنتم بنو العرب الأمجاد ينصركم   بنو الفراعين فاشتدوا يدا بيد
أنتم بنو مصر والسودان ضمكما   جسم وأنتم له كالقلب والكبد
ذودوا عن النيل ولتجر (القناة) دما   كالسيل يدفع بالغثاء والزبد
(لكم عزائم رأى لو رميت بها   عند الهياج نجوم الليل لم تقد)
يا أهل مصر وأنتم أهلنا ولنا   عن القرابة ما الأم والولد
نحن الفداء لكم ، والله يشهد ما   بتنا بما نابكم إلا على كمد
وحبنا مصر كالإيمان موضعه   من القلوب مكان النبض والورد
قلب العروبة يشكو ما ألم به   فكيف لا يتأذى سائر الجسد
عار على دول فى الشرق يجمعها   دين ، وتشقى برأى غير متحد
أما كفى ما لقينا من تخاذلنا   أمام شرذمة من سفلة فسد
ألم تمظنا فلسطين التى ذهبت   ضحية الخلف والتسويف واللدد
ألم نزل من خداع (الحيزبون) على   جهل نؤمل فى إنصافها لغد
عدوة الشرق والإسلام ما فتئت   تفت بالدس والتفريق فى العضد
كم من مفاوضة أفضت إلى فشل   وكم معاهدة خابت ولم تفد
ما خلقهم غير خلف للوعود ولا   ميثاقهم غير نفث النفث فى العقد
لا تؤمنوا بدفاع قيل مشترك   فانه شرك (من ينخدع يصد)
يا أمة الشرق إن الغرب ليس له   هم سوى وضعنا بالقهر فى رمد
وما لنا عندهم فى (الكتلتين) سوى   شر على أبد الأيام مطرد
شر (الشيوعية) الحمراء إن حكمت   كشر حكم (الدمقراطية) النكد
مذاهب محدثات كلها بدع   فيها من الضعف أهداف لمنتقد
كل المذاهب (والإسلام يكسفها)   لم تخل نظرتها للحق من رمد
فما لنا من صديق غير أنفسنا   ولا اعتماد لنا منهم على أحد
ولا معاهدة إلا إذا كتبت   بنودها بمداد الصارم الفرد
فأرثوها على الباغى مسعرة   بكل أروع فى ساح الوغى نجد
كنانة الله من أشبالها نثلت   سهما أصاب عدو الله فى الكبد
تقوضت دولة المستعمرين وقد   (أخنى عليها الذى أخنى على لبد)
قد صورت أسدا رمزا لسطوتها   فعاد رمزا على جدى من النقد
فلا يهولنكم من شحمه ورم   (فانه الهر يحكى صولة الأسد)
الشك فى النصر كفر سوف يتبعه   يأس هو الموت من جبن إلى الأبد
لاشك فى النصر إن صح التآزر من   شعب على الحق بعد الله معتمد

بنغازى — ليبيا

أحمد رفيق المهدوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول اللغة الأجنبية الأولى :

أجبت الأستاذ اليماني أحمد السكري الذي سألني في العدد الأسبق من « الرسالة » عن قرار معالي الدكتور طه حسين باشا الخاص بتعليم اللغات الأجنبية في المدارس المصرية والذي ينص على أن تختار اللغة الأولى من اثنتين : الفرنسية والانجليزية : هل يكفل للشعب الحرية المطلقة في اختيار اللغة الأجنبية الأولى التي يريد أن يتعلمها ؟ — أجبت عن ذلك بأننا نجني من هذا القرار زحزحة اللغة الإنجليزية عن مكانها الذي اتخذته لدينا بقوة أهلها الاستعمارية، وهذا كسب كبير لأنه تحرر من أثر استعماري من هذه الآثار التي يكافح الشعب في هذه الآونة للتخلص منها

ولم يخف على أن السؤال يلف في طياته أمرا آخر أو سؤالا آخر وجه إلى فعلا من آخرين ، وهو لماذا قصر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على الفرنسية والانجليزية ولم يشمل اللغتين الأخريين اللتين تقرر تعليمهما وهما الألمانية والإيطالية ؟

ويراعى إلى جانب ذلك أن رأى معالي الدكتور طه حسين باشا في تعليم اللغات الأجنبية يتلخص في عدم التقيد بلغة أو لغتين ووجوب التنويع في ذلك بين المثقفين لتستمد ثقافتنا العربية الحديثة من المنابع المختلفة ، وقد بسط ذلك في كتابه « مستقبل الثقافة »

إذن لماذا قصر معاليه أمر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على لغتين فقط ؟

الجواب عن ذلك أن وزارة المعارف ليس لديها الآن مدرسون مصريون تستطيع أن تواجه بهم الحاجة إلى تدريس الألمانية أو الإيطالية أو غيرهما من اللغات الجديدة على التعليم المصري إذا ما اتخذت لغة أصلية ، فلا بد من التدرج ومراعاة الإمكان حتى نبلغ الأمر الذي تتوافر وسائله

وقد أعد معالي الوزير للأمر عدته فبعث مشروع « مدرسة الألسن » الذي يهدف إلى إعداد مدرسين مصريين لتدريس اللغات الأجنبية ، وقد افتتحت المدرسة فعلا هذا العام وبدأت تستقبل الطلبة الذين تقدموا إليها من قسم اللغة الإنجليزية وقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب . وعند ما يوجد طلبة يعرفون لغات أخرى تفتح لهم المدرسة أبواب التعليم فيها ، حتى تستكمل ما يهيؤها لتأدية رسالتها على الوجه الأكمل

فالوزير يبدأ بإنشاء مجالات جديدة ، ويعمل على سد نقص ناشئ من التقصير في الماضي . ولا شك أن الغايات تحتاج إلى وسائل لا بد من توافرها . ولو أخذ برأيه من وقت أن نادى به لأصبح لدينا الآن متعلمون يعرفون مختلف اللغات الحية ولأمكن الآن مواجهة التوسع المطلوب وإتاحة الحرية الكاملة المنشودة

رسالة الشعر في الكفاح الشعبي

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الأستاذ عزيز أباظة باشا يوم السبت الماضي بجمعية الشبان المسلمين بدأها بمقدمة عن كفاح الشعوب قائلا إن هذا الكفاح يهدف إلى أمرين ، الأول الحضارة وهي الرقي الفكري والعلمي والاجتماعي ، والثاني الحرية ومقاومة المعتدين عليها من أبناء الشعب نفسه أو من المقتحمين المحتلين . ثم قال إن أهم وسائل الكفاح ما يبعث الشعور ويتصل بالعاطفة ، وهو الفنون عامة والشعر خاصة . وقال إن شعر الحماسة هو أقوى أبواب الشعر ، ولذلك غلبه أبو تمام على سائر الأبواب إذ سمى كتابه « الحماسة » وساق عدة أمثلة من الشعر العربي مبينا أثرها في بعث الهمم وإثارة المشاعر

ثم انتقل الأستاذ بعد ذلك إلى التفات بارع إذ قال إن الشعر أخلد حينا إلى الارستقراطية واعتزل الشعوب والجماعات، ولكن لم يكن كذلك الشعر وحده ، بل كان الناس أيضا متخلفين عن أهدافهم ضالين في حياتهم ، فكما ساروا في ركاب الملوك والأمراء سار الشعر مثلهم وتخلف تخلفهم . ثم أحس الشعراء بحاجتهم إلى التعبير الصادق فاستحدثوا الابتداعية «الرومانسية»

ولكن هذه كان عيبها أنها تعبر عن الفرد ولا تهتم بالجماعة . ثم اهتدى الشعراء الى الابتداعية الحديثة وهي مشاركة الشعر للناس فى حياتهم والتعبير عن آلامهم وآمالهم ، ووصف الأستاذ المحاضر هذه الابتداعية الحديثة بأنها هى الفن الصحيح

ومما قاله عزيز باشا فى هذه المحاضرة القيمة أن الشعر اكتملت أداته الوطنية فى العصر الحديث ، فكان الشعراء هم الداعين إلى كل إصلاح والسابقين إلى كل دعوة ، فقد مهدوا لثورات الشعوب فى فرنسا وروسيا وبولندا ، ولم يقصر شعراء العرب فى هذا المضمار ، فكان فى العراق الزهاوى والرصافى ولم يزل فيه الجواهرى والشبيبى . وجال شعراء الشام فى ميادين أوسع لغربتهم فى المهجر فاكتسب شعرهم ألوانا جديدة وسرى فيه روح قوى . وكان فى المغرب أبو القاسم الشابى شاعر الحرية الخالد ، أما فى مصر فقد ابتدأ كفاح الشعر بالبارودى فى الثورة العرابية ثم زكا بشوقى وصاحبيه حافظ ومطران

ولما وصل عزيز باشا إلى الحال الحاضرة ارتفع جرسه وحمى صوته وراح يتحدث عن عدوان جيش الاحتلال على المواطنين وعن كفاح الشباب المجاهد فى سبيل الحرية ، وكان رفيقا بالشعراء بل محابيا لهم حين ذكر أنهم يبعثون حركة الكفاح الوطنى الراهن ويذكون أوارها بأشعارهم ، فالواقع أن الشعر يحاول اللحاق بالركب فى وناء وإعياء ولم يكن له أى فضل فى إشعال قشة . .

وقد ألقى الأستاذ محمود جبر قصيدة وطنية تناول فيها بعض الأحداث الجارية تناولا أثار الحماسة والإعجاب ، فكانت هذه القصيدة بمثابة تطبيق للمحاضرة

ثم وقف الأستاذ محمد سعيد العريان وعقب على المحاضرة فوصف عزيز باشا بأنه شاعر نزل إلى المعركة ليقود الشعراء وسماه « قائد الشعراء » وقال إننا نتطلع بعد ذلك إلى أن يخرج الشعراء من مرحلة « التسجيل » إلى طور القوة الدافعة . نريد أن يدعوا « كان وكان » ويقولوا افعلوا واعملوا ... وخلص من ذلك إلى دعوة الشعراء إلى التطبيق العملى ، وأعرب عن انتظار الجامعة الشعبية التى تنظم هذه المحاضرة ، ما يقول الشعراء ليقدمه إلى الناس فى القريب إنتاجا عمليا . وأذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ العريان يتولى الآن منصب المدير العام المساعد للجامعة الشعبية

شعر المناسبات الشعبية الحربية :

كدت أنسى القسم الثانى من رسالة الأخ الشاعر العراقى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى التى نشرت قسمها الأول وعلقت عليه تحت عنوان « الشعر الفنانى » فى عدد مضى من « الرسالة » وقد ذكرتنيه محاضرة الأستاذ عزيز أباظة باشا التى سبقت خلاصتها . يقول الأستاذ الناصرى فى رسالته إلى :

« ... ثم تقول إن الشعبية هى أن تجارى المجتمع فى آلامه كما فعل على طه حين نزل إلى الشعب وتغنى بإحساسه فى أروع قصائده كالقصيدة التى خلد بها أبطال الفلوجة وقصيدة (أخى أيها العربى) التى غناها عبد الوهاب . وأنا أقول لك : هذا شعر يسمى شعر المناسبات ؛ فإذا كان الرحوم نظم فى مأساة فلسطين قصيدة أو قصيدتين فأنا — ولا فخر — قد ضمنتى تلك المأساة المؤلمة ديوانا أسميته « صوت فلسطين » ورغم ذلك فأنا لا أعتبر هذا الشعر فنا خالدا لأنه شعر مناسبات وأنا من ألد أعداء المناسبات مهما كان نوع المناسبة ، لأنى أعرف أن الحياة عندما تمر وأن التاريخ عندما يطوى صفحاته يأتى ما قيل فى المناسبات السياسية بمؤخرة القول ، لذا أقرر أن شعر الوجدان والعاطفة يخلد أكثر من خلود باقى الشعر ، بدليل أن حوادث كثيرة مرت بانجلترا وفرنسا وألمانيا ولكن لم يخلد ما قيل فيها بقدر ما خلد شعر بيرون وشلى وكيتس ولامرتين وهوجو ودى موسيه. ولو فتشنا فى تاريخ العرب الأدبى لوجدنا أن كثيرا من الأحداث السياسية قد مرت ومر ما قيل فيها ولم يخلد إلا شعر أمثال الأعشى والأخطل وابن أبى ربيعة وأبى نواس وابن الأحنف والبحترى وابن الرومى وصريع الغوانى ، وحتى فى العصر الحديث نجد جل الشعراء كشوقى وحافظ والبارودى ومطران لم يعرفوا بشعر السياسة والمناسبة بقدر ما عرفوا بشعر الوجدان . فهل بعد هذا نقيم وزنا لشعر المناسبات الذى لا يصدر إلا عن دافع رسمى أو واجب وليس بدافع عاطفى صرف ؟ »

وأنا حقا لا أقيم وزنا لشعر للمناسبات الذى يصدر عن دافع من خارج النفس ، ولكن ليس هذا الشعر هو الذى ندعو إليه ،



رحم الله الدكتور زكي مبارك

في مساء يوم الأربعاء الماضي انتقل إلى رحمة الله الدكتور زكي مبارك. أدركته المنية على أثر كبوة شديدة شجت رأسه ورجت مخه. ففقد الأدب بفقده كاتبا من كتاب الطليعة له جهاده الطويل وأسلوبه الجميل وأثره الباقي. كان رحمه الله من الأدباء القلائل الذين شقوا طريقهم في الصخر بالعمل الدائب والدرس المتصل والتحصيل المستمر. ثم قضى زهرة عمره في التعليم والتأليف والكتابة على خير ما يكون العامل الصادق من المثابرة والجد. فلو أنه انتهى كما ابتدأ لكان له في تاريخ الأدب والفكر شأن غير هذا الشأن. ولكن عوائق من طبيعته اعترضت طريقه الوعر فلم يبلغ الغاية التي هيأه لها اجتهاده واستعداده. هذه العوائق نفسها هي التي جملته آخر الأمر يعفي طبعه ويوفر جهده، فلا يكتب إلا عفو الساعة وفيض الذاكرة. على أن له من المؤلفات القيمة والمقالات الممتعة ما يثبت اسمه في سجل الخالدين

وكان رحمه الله من المخضرمين المخلصين الذين ربطوا الجديد بالقديم، ووصلوا الشرق بالغرب. وكان لهذه الطبقة الفضل العظيم على النهضة الأدبية بما وطدوا من أساس وأقاموا من قواعد وحققوا من توازن. وبهذه الميزة كان للفقيد الكريم نصيب في بناء مجد الرسالة حينا من الدهر

جزاه الله على ما قدم أحسن الجزاء، وعزى عنه أهله وصحبه خير العزاء

في كتاب الديارات للشابشتي

نشر الأستاذ كوركيس عواد كتاب الديارات للشابشتي وطبع أخيرا في سنة ١٩٥١ ميلادية ببغداد. والكتاب في غنى عن التعريف، وكذلك ناشره الفاضل الذي طالما أمتعنا ببحوثه الأدبية على صفحات الرسالة. ولكن على الرغم من الجهد الذي بذله في التحقيق وقع في أوهام كنت أود تنزيهه عنها، وهذه بعض الأمثلة:

وما أظن ما قاله الناصري في « صوت فلسطين » من هذا القبيل وأعتقد أن قصائد المرحوم على طه ليست منه أيضا. فإذا كان المقصود بشعر المناسبات ما يقال للمجاملة أو الملق وما يتخذ أحبولة لصيد المنافع أو الاستجداء فإننا لا نعد هذا من الأدب « المحترم » في شيء. أما ما تنفعل به نفس الشاعر إزاء أحداث الجماعة ومسائلها ويفيض به خاطره شعرا أو نثرا فهو أدب خالد ما في ذلك شك، وهو لا يخرج عن نطاق العاطفة والوجدان بل إن العاطفة هنا أرق من العاطفة الفردية. وليس الخلود مقصورا على العواطف الفردية، بل إن التعبير الصادق عن عواطف الجماعة أحق بالخلود وأجدر بالاعتبار لما فيه من اندماج الشاعر أو الكاتب في بيئته وإحساسه بها. وليس ما قاله الأستاذ الناصري عن الشعراء الذين سماهم مسلما به، فكثير منهم قال في أحداث الجماعة أروع شعره وأخلده. على أنني أعتقد أن مدار الأمر على صدق الانفعال، فالأدب الصادق لا ينظر هل هذا اللون من القول خالد فيقول فيه وهذا غير خالد فيتجنبه، وإنما هو يقول ما يمليه عليه خاطره، وليسلكه من شاء فيما يشاء

على أن الأدب الصادق الأصيل هو الذي يصور روح العصر. وعصرنا الحالي هو عصر الشعوب والجماعات التي تكافح الطغيان الفردي لتأخذ حقها في الحياة، والأدب من أسلحة هذه المكافحة أو هو أهمها، ولست أوافق الأستاذ الناصري على ما ختم به رسالته إلى من ازدراء الشعب، أي شعب، لأنه ذليل خانع، وقد ضربت صفحا عن العبارات إبقاء على ما بين الشاعر ومواطنيه

إن الشعوب التي ران عليها الظلم والاستعباد والإهمال أحقابا طوالا فتركت بها آثارا أفسدتها — هذه الشعوب أحق بخدمات الأدباء من أبنائها للدعوة إلى تنظيفها وترقيتها، وإلى هذا المجال يدعى الأدب الجديد

عباس خضر

١ — فى ص ٥٧ جعل قافيـة البيت الأول من بيتى أبى الميناء (فأدنا) بالدال المهملة وشرح الكلمة بأنها (أد الأمر أثقله وعظم عليه) وهـذا من أعجب ما رأيت من الأوهام، فالكلمة بالذال المعجمة من الأذان، وذلك كما جاء فى ص ١٣٧ من ديوان على بن الجهم طبع المجمع العلمى بدمشق سنة ١٣٦٩ إذ قال من قصيدة (الله أكبر الخ ..) وفى الهامش أن مروان بن أبى الجنوب قال لما ابتدأ على قصيدته بهذا المطلع — ثم ذكر البيتين اللذين نسبهما الشابشتى إلى أبى المنيـاء . ولو تأمل الأستاذ كوركيس لرأى البيت الثانى يذكر الإقامة والطهر وهما من مستلزمات الأذان . ومطلع الأذان الله أكبر وهو مطلع قصيـدة على بن الجهم؛ فالكلمة إذن (فأذنا) بتشديد الذال المعجمة وليست بالمهملة كما وهم الأستـاذ الناشر

٢ — ذكر فى ص ٣٩ الحاشية ١٠ أن يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شعبان إذا غم الهلال بعد تسعة وعشرين يوما من شعبان ولو كان اليوم المذكور أول يوم من رمضان لما كان هناك أدنى شك ولوجب صومه

٣ — فى ص ٢٤ الحاشية — ٢ ذكر أن الحد تأديب المذنب، وذلك عند الكلام على معنى (فجلدها حدا) مع أن المراد هو حد القذف وهو أحد الحدود الستة التى نص القرآن الكريم على بيان عقوبتها وأنها ثمانون جلدة . وهناك فرق كبير بين الحد فى القذف وبين التعزير الذى يقصد منه تأديب المذنب

هذا بعض قليل مما فى الكتاب — وإذا اتسعت لناصفحات الرسالة نقدناه إن شاء الله نقدا وافيا يستوعب أوهامه وأخطاءه الطبعية مع الإشارة إلى كثير من الأبيـات التى وردت مختلة الوزن وغير ذلك — على أن كل هذا لا يمنع من تقدير الأستاذ النـاشر على مجهوده الرائع الذى بذله فى تحقيق هذا الكتاب وطبعه لأول مرة وإضافة هذه الدرة إلى عقد المطبوعات العربية الخالدة

عبد السلام النجار

هنات عروضية

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور فى انتفـاض الغصون فى عاصف الريح، فى فورة اللظى المسجور زهرة النيل .. وابنة الشاطئين .. ونجوى الحمام للصفصاف وتهـادى النشيد .. فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى الرهيبة حان يوم الخـلاص فابسـط ذراعيك للأفق .. للسماء الرحيبة فى الأبيات السـالفة من قصيدة «قصة الحرية» للاستاذ محمد فوزى العنتيل هنات عروضية تحتاج إلى تصويب طفيف، كيا تحسن مبنى كما حسنت معنى

صارو

من عيوب القافية:

حتى إذا بلغت به أقصى المدى وانجـاب عنه ركامها المتلبد

.. هذا بيت ورد فى قصيدة الأسـتاذ عثمان حلمى بالعدد (٩٥٥) من الرسالة، وحرك رويه الضمة مخالفا بذلك سائر أبيات القصيدة إذ هى مكسورة الروى، واختـلاف (المجرى) بالضم والكسر — كما هنا — عيب من عيوب القـافية يسمى «الإقواء» ... فهل يجد الأستاذ حلمى مقيلا من هذا العيب فى البيت؟ وهل له أن يصلح هذا الشطر:

..(يجرى وما تدرى النهى المقصد) . فى القصيدة نفسها!

يصمد ليست بمعنى يثبت

شاع التعبير بهذه الكلمة «يصمد» فى الدلالة على معنى الثبات . وهذا هو الأسـتاذ لب فى العـدد (٩٦٦) يقول: «أمكن أن تصمد للاستعمار» وسياق حديثه يشعر بإرادته للمعنى المذكور، ولكننى أقرر أن (يصمد) بمعنى يقصد والصمد بسكون الميم القصد، ومن معانيه الضرب والنصب كما فى القـاموس المحيط، والصمد والصمد بفتح الميم السيد لأنه يقصد، وفى تفسير الكشاف الزمخشرى: «الصمد» فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده، هو المصمود إليه فى الحوائج..

هل التلاشى بمعنى الضياع ؟ :

إنى أسائل فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت،

هل وردت كلمة (التلاشى) فى اللغة العربية بمعنى الضياع ، إذ قد وردت فى مقاله بالعدد (٩٦٦) مرادا بهـا هذا المعنى ! وهى كثيرة الذيوع على ألسنة المعبرين ، وأقلام الـكاتبين ، وقد رأيت فى القـاموس المحيط : (لشا) خس بعد رفعة ، فهل يمكن صوغها من هذا الفعل ؟ وهل لها وجود فى بعض الأحاديث النبوية ، والشواهد العربية ؟ .

محمد محمد الأبشيهى

(الرسالة) فعل لاشى صاغه المولدون من (لا شيء) وهى صياغة لا تقرها أصول اللغة

التصحيف والتحريف :

سألنى سائل فى رسالة خاصة : « لقد جاء فى كلمتك الأخيرة فى رسالة الزاهدة قولك (التصحيف ولا أقول التحريف) . (١) فهل ثم فرق بين التصحيف والتحريف » ؟

وإنى إذ أشكر للسائل الفاضل سؤاله واهتمامه بلسان العرب ولغة القرآن أرجو أن يتفضل فيعلم أن (التصحيف غير التحريف)وإن كان بعض الـكاتبين يجمع بينهما على معنى..

فالتصحيف مصدر صحف أى أخطأ فى الـكلمة — كتابة أو قراءة أو رواية — لتشابه وتجانس فى صورة كلمتين واختلاف فى النقط . ولقد وقع التصحيف منذ قديم فى كلام بلغاء العرب ورجال الأدب وأشعار القدامى وسائر الأمثال حتى أن أبا عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهانى وضع فى ذلك كتابا سماه « التنبيه على حدوث التصحيف »

وأمثـلة التصحيف بالنقـط أكـثر من أن تحصى ، ومن أطرف التصحيفات التى تذكرها التواليف ما قيل من أن جماعة من المخنثين كانوا فى المدينة فى خلافة سليمان بن عبد الملك الأموى فأراد أن ينفيهم منها فكتب إلى عامله فيها — وكان وقتذاك أبا بكر عمر بن حزم — أن (احص) من عندك من المخنثين . وصادف أن نقطة من السـطر الأعلى من كتاب الخليفة وقفت أو وقعت فوق الحـاء من لفظة (احص) المهملة فصارت (اخص) بالمعجمة ، فما كان من أبى بكر إلا أن خصاهم أجمعين

وكذلك يقع التصحيف من تشابه رسم الحروف وهو من آفات العربية . وفى ذلك يقول البيرونى فى كتابه « الصيدنة » : « والـكتابة العربية آفة عظيمة هى تشابه صـور الحروف المزدوجة فيها ! واضطرارها فى التمايز إلى نقط المعجم ، وعلامات الإعراب التى إذا تركت استبهم المفهوم منها .. » الخ

جاء فى لسـان ابن منظور فى مادة « سـوف » . السواف بفتح السين : الفناء . وفى القاموس السواف كسحاب : القناة فأين الفناء من القناة ؟ ولـكنه التصحيف يقع فيه القـاموس ويسلم منه اللسان لينقلب الفناء قناة كما انقلب المخنثون خصيانا !

ومما أذكر فى هذا الباب ما جاء فى تعقيب لى (٢) على كلمة لإمام العربية المحقق المدقق المرحوم إسعاف النشاشيبى فى تحقيقه لـكتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وتصحيحه لفظة (الأدب) من (والأدب من ذى الغيبة) (٣) إلى (الغنم) ثم تعقيبى (والأوب من ذى الغيبة) بالواو وهو الأصل الذى صحف عنه (الأدب) واستحسانه — رحمه الله — التعقيب والتصويب شاكرا ومقدرا فى قوله (٤) : « لا ريب فى أن أصل « والأدب من ذى الغيبة » هو « والأوب من ذى الغيبة » والدليـل على ما ذهبت إليه أنت قريب وإن تباعد منى ، فإن الناسخ القديم البـارع (سامحه الله) استبدل بالواو دالا ثم جاء الطابع فطبع »

وأما التحريف فهو وقوع اختلاف فى الحركة أو السـكون مع تشابه أحرف الـكلمة فى النوع والشكل والعدد والترتيب

فلفظة (الحب) مثلا تأتى بالـكسر على معنى المحبوب والمحب ، وبالفتح البزر المعروف ، وبالضم الجرة الضخمة . فاختـلاف الحركة — كما ترى — نتج عنه اختلاف المعنى اختلافا واضحا ووقوع القارىء أو الـكاتب أو الراوى فى مثل هذا الاختلاف هو المقصود بالتحريف حركة أو سكونا ..

وقد يجتمع التصحيف والتحريف معا فى الـكلمة الواحدة

١ — بريد الرسالة العدد (٩٦٨)

(٢) بريد الرسالة العدد (٦٩٥) السنة الرابعة عشرة .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ص ج ٩

(٤) بريد الرسالة العدد (٦٩٨) السنة الرابعة عشرة

فيزيد الحشف(*) سوء كيلة، والطين بلة ، والداء علة . مثال ذلك ما ورد فى القاموس فى مادة (برقش) « أبو براقش طائر صغير برى (كالقنفذ) . والخطأ بالتصحيف ظاهر فى لفظة التشبيه لا يحتاج إلى تنبيه . والصواب « كالقنبر » ذلك لأن القنفذ ليس بطائر يطير بأثنين حتى يشبه طائر به ، وإنما هو دابة تدب على أربع . (راجع المقتطف ٣٩ : ٤٨٨ فى أبى براقش)

وبعد : فجمل القول فى التصحيف والتحريف أن التصحيف يكون أكثر ما يكون باختلاف الحرف واختلاط النقط إهمالا وإعجاما ، وأن التحريف يكون باختلاف الحركة أو السكون فى الكلمة قراءة أو كتابة أو رواية . وقى الله لسان العرب وأصحاب القلم من الخلط مصحفا ومحرفا والسلام

* الحشف أردأ التمر .

الزيتون عدنان

١ — خطأ قديم

كتب الكاتب القدير الأستاذ أحمد محمد بريرى مقالا قيما (١) بجريدة الأساس تحت عنوان « خطأ مشهور » ، أجرى فيه الحوار بينه وبين شيخه على طريقته المعهودة . وقد جاء على لسانه : « ويأتى بهذا النص الذى نقول إنه منعدم » ؛ فأتى باسم الفاعل من « انعدم » الذى أقول إنه معدوم . وهذا خطأ قديم وقع فى كلام كثير من الكتاب والفقهاء والمتكلمين

وأغلب الظن أن هذه هفوة من الأستاذ بريرى ، وإلا فكيف غاب عن شيخه وعنه أن صيغة « انفعل » لا تؤخذ من « العدم » ، لأنها مختصة بما هو علاجى محس ، وواضح أن العدم لا يلمس ولا يحس . وزيادة فى الإيضاح ولأن الأستاذ بريرى لا يؤمن إلا بما نقل عن العرب وورد فيه نص صريح فإنى أحيله إلى قول « المنجد » : « ولا يبنى انفعل إلا مما فيه علاج وتأثير ، ولهذا لا يقال علمت المسألة فانعلمت ، ولا ظننت الأمر فانظن لأن العلم والظن مما يتعلق بالباطن وأثرها ليس محسوسا » ، وإلى « محيط المحيط » ففيه : « يقول المتكلمون والفقهاء وجد فانعدم والصواب وجد فعدم لأن الانفعال للعلاج والتأثير ، وليس العدم والإعدام فى شىء من ذلك كما لا يقال علم فانعلم »

فكان الواجب عليه أن يقول : « ويأتى بهذا النص الذى نقول إنه معدوم »

(١) أقر المجمع اللغوى هذا التعبير

٢ — خطأ نحوى

جاء فى مقال بالهلال (عدد يناير) للدكتورة الفاضلة « بنت الشاطئ » تحت عنوان « الثائرة » : « ولم تك التميمة سوى رصاصة .. » ، وفى هذا التعبير مجال للقول والنقد ؛ لأن من القواعد المتقررة أنه لا يصح حذف النون من « يكن » إذا وقع بعدها ساكن ؛ ولهذا ثبتت فى قوله تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم » ، وقوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » . وأما قول الشاعر :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

فضرورة

أحمد مختار عمر



خاتمة المطاف ..!!

للأستاذ محمد رشدي

— كثيرة حقا ياصديقي أطايب الحياة وملذاتها .. ولكني لن أترسم خطوك بعد الآن ، فاستمتع أنت بأطايبها كيف تشاء ، واقتنص من لذائذها كما يحلو لك ، وثق أنك ستدفع الثمن في يوم ما ..

— سحقا لك ولتفكيرك السقيم .. ماذا ترى في صيد ساقه لنا الشيطان ، هل ترانا نرتكب جريمة بذهابنا إليها .. لقد رأيتها بعيني رأسك ، أنوثة مبكرة ، وجسدا ناضجا غضا ، وجمالا آسرا خلابا .. تخيل أنك تعصرها عصرا بين ذراعيك ، وتضغط صدرها الناهد .. لتتحطم مقاومتك التي لا أجد مبررا لها ويستقيم تفكيرك ، فتجد أنك مخطئ في مخاوفك التي ذهبت إليها .. هيا بنا ، ولا تكن جبانا رعديدا تخاف اشياء لا وجود لها . إنها تقطن وحدها.. وهي التي دعتني إلى منزلها.. وأنا بدوري أدعوك لمرافقتي .. إن الساعة المرتقبة توشك أن تحين ، فهيا .. فالشوق يكاد يقتلني ...

— وفر عليك مشقة إغرائي .. فلم يعد معسول قولك ، وتشويقك ، ليفيدا معي .. فاليك عني ، واذهب وحدك ، فقد عاد إلى صوابي ، وثبت إلى رشدي .. فدعني أكفر عن آثامي التي اقترفتها بسببك .. ليتني دققت عنقك منذ عرفتك ..

— ها .. ها .. ها ... إنك وايم الحق تدهشني كثيرا .. فقد أصبحت عنيدا صعب المراس .. ثق أنك لن تجد الفرصة التي تكفر فيها من آثامك . سأذهب إذن وحدي ، وأتركك لأفكارك ، وهي كفيلة بالقضاء على عنادك وإصرارك .. إن اقتناص اللذة أصبح من مستلزمات حياتنا، أنا، وأنت..فلا تحاول الاستنجاد بإرادة حطمتها عشرون عاما ، قضيتها غارقا لأذنك في الإثم والرذيلة ...

— وأنت ... ألا تذكر ؟

فتمهل قليلا كأنما يستجمع شوارد ذهنه .. ثم قال ..

— أجل ... أذكر .. إن صورة باهتة لها مازالت عالقة بذهني .. لم تكن كهؤلاء اللآتي عرفتهن .. قد باعت جسدها لمن سبقني ودفع الثمن .. كانت نقية طاهرة الذيل إلى أن عرفتني ...

— إنك معدوم الضمير .. لقد دفعتها إلى التخلص من ثمرة فعلتك النكرة ثم قضيت عليها بقسوتك وإعراضك .. !!

— نعم . أخبرتني بذلك . ولكن ما شأني بذكريات أدرجها تعاقب السنين في لفائف العدم ، وتراكم عليها غبار تسعة عشر عاما انقضت . لقد مات الماضي ياصديقي ، فدعنا منه.. وإلى اللقاء عند « سلوى » الراقصة الحسناء ..

— اذهب إلى الشيطان ، فلن نلتقيا ثانية .. لقد عقدت العزم على الرحيل بعيدا عنك ..

— كما يحلو لك ... آه . . نسيت أن أترك لك العنوان . وانتزع من مفكرته ورقة قذف بها إلى صديقه وهو يتابع في برود وعدم اكتراث :

— هاك العنوان .. وحذار أن تتأخر كثيرا ، فسنكون في انتظارك ...

وغادره وصدى ضحكاته الساخرة يرن في أذنيه ...

وصاح « جلال » به يستمهله .. ولكن صوته لم يصل إلى سمعه .. فاختطف معطفه وغادر المنزل بدوره

... وهناك على الفراش ..كانت الفتاة مستلقية في استرخاء ، وقد ارتدت غلالة رقيقة ، يشع من تحتها بريق الفتنة الطاغية ، وسحر الجسد البديع التكوين ، وعبق جو الحجرة برائحة عطر نفاذة تدير الرؤوس ، وتخدر الأعصاب .. وعلى قيد خطوة من

الفراش ، وقف « كال » بقوامه الفارع ، وجسمه الرشيق الفتى.. برغم أنه يحمل على كاهله عبء أربعين عاما سلخها من حياته ..

ونهضت الفتاة فى استرخاء محبب ، ولم تلبث أن قفزت من الفراش فى رشاقة وخفة ، وطبعت على شفتيه قبلة خاطفة ، وأسرعت بالابتعاد قبل أن تنطبق عليها ذراعاه ، ويهصر عودها الرطب بين أحضانه .. وراحت تنثنى وتتفرد أشبه بحية تتلوى وهى تدور فى الحجرة راقصة منتشية ، وقد لمت عيناها ببريق عجيب ...

وفارق « كال » ثباته ، وثارت مشاعره، واستيقظت غرائزه البهيمية فراح يضيق عليها الخناق حتى تمكن من الإمساك بها.. وجذبها إليه فى عنف ، ورغبة جامحة . . فكاد يحطم عظامهـا . ولـكنه ما عتم أن تراخت ذراعيه ، وتخـلى عن الجسد الغض الطرى الذى كان يدفئ أحضانه . . . واستقرت نظراته الملتهبة على تلك الدمية الجميلة التى ابتعدت على عجل ، ولاذت بالحائط ترتعد كريشة فى مهب ريح صرصر عاتية . وعالك واستجمع أشتات أنفاسه .. واقترب منها مترنحا أشبه بسكير شرب حتى طفح وقد امتدت ذراعاه المتخاذلتان ، محاولا أن ينال عنقها ، فيزهق روحها الخبيثة . ولـكن قواه خانته ، وتخلت عنه ، فهوى يتلوى من الألم وقد ندت عنه صرخة قهر وكد .

ودبت الحركة فى جسد الفتاة الجامدة .. فاندفعت إلى الأمام تصرخ فى صوت مختنق متحشرج ، وقد أذهلتها رؤية الدماء . . فتلقفتها ذراعان خارج الحجرة ، وعادت بها إلى الداخل . . وارتفع صوت « جلال » يسأل فى عجب : ماذا حدث يا ... ؟! بيد أن الـكلمات ماتت على شفتيه ، واتسعت حدقتاه فزعا وهو يرى صديقه منكفئا على وجهه وقد غاص بين كتفيه خنجر حتى مقبضه . .

وتهافتت « سلوى » على الفراش مضعضعة الحواس ، خائرة القوى ودفنت وجهها بين راحتيها ، وقد شملت بدنها رعدة عنيفة .. وراحت تهذى كالمحمومة :

— لقد قتلته .. أجل قتلته يا أماه .. فلعلك الآن راضية فى مثواك الأخير .. كانت رغبتك أن أنتقم لك، وها قد انتقمت.. فانهضى لترى أى منقلب انقلب ذلك الفاسق ... لقد غرر بك ، وتركك تنوئين بعبء العار والفضيحة تسعة عشر عاما ، قضيتها فى عذاب مر أليم ... لقد ظلت صورته منطبعة فى ذاكرتى من خمس سنين مضت منذ آخر لقاء كان بينكما ، حين انهـال عليك ضربا فى قسوة ووحشية وغادرك ، مقسما أنك لو عدت إليه ليقتلنك شر قتلة ، ولـكنك لم تكونى فى حاجة إلى العودة إليه ، فقد فاضت روحك فى تلك الليلة ، وتركتنى فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر بعد . . لا يعرف ذلك العربيد عنها شيئا ، ولا يعلم بوجودها ... فأقسمت أن أنتقم لك منه ، ولو كرست حياتى كلها لذلك ... ولقد فعلت ... فليرحمنى الله ... !!

وزاد ارتماد جسدها ، وعلا صوت نحيبها المؤلم ، ونشيجها المكتوم . وانبعث صوت ضعيف واهن ، كأنه آت من أغوار سحيقة ، فيه مرارة وفيه تساؤل وعجب :

— سلوى ... إبنتى

ولـكن القضاء لم يمهله ، ولم يتريث به ليقول شيئا آخر ... فسكنت حركته إلى الأبد

ورددت جنبات الحجرة دقات حزينة منتظمة ، كانت أشبه بأجراس قوية تدق فى ذلك المـكان الرهيب . . تعلن بأن الليل قد انتصف

واقترب « جلال » من الجثة المسجاة .. وانحنى على الجسد الفانى لحمله بين ذراعيه ، وتريث قليلا ينظر إلى الفتاة ، وقد انحدرت على خده دمعة كبيرة .. وقال فى صوت متهدج برح به التأثر :

— لقد انتهى .. مات صديق .. ولـكنه منحنى الفرصة التى أكفر فيها عن آثامى .. فأنا ذاهب ، أجل ذاهب لأنال الجزاء .. فما أحقنى به منك

وتنفس عميقا ، وكأنما أزيح عن صدره عبء ثقيل .. ثم دار على عقبيه وغادر الحجرة بحمله الثمين .. !!

دمنهور — محمد رشدى